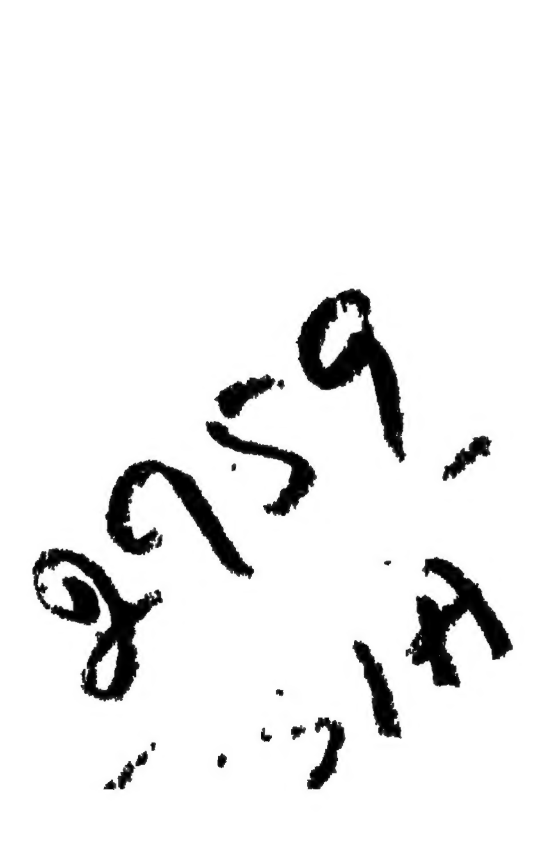

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى اختص العلماء بوراثة الانبياء والتخلق باخلاقهم وجعلهم القدوة للكافة فى معاشهم ومعادهم وميز المجتهدين منهم بقيامهم بمصالحهم وايضاح الحق لهم فى مصادرهم ومواردهم وباضطرار الخلق اليهم فى قوام مابه حياة أرواحهم وأبدانهم فهم الملوك لا بل الملوك تحت أقدامهم وفى أسر رأيهم وأقلامهم وهم النجوم لا بل النجوم تستمد من أنوارهم وهم الشموس لا بل الشموس تستضئ من أضوائهم وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة أرقى بها فى كمالات معارفهم وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المذيع لمعالى مناقبهم وكمالهم والمفيض عليهم من سوابق التوفيق لاقتفاء آثاره فى سائر أحوالهم ماسبقوا به من سواهم الى الخلافة الكبرى عنه فى الهداية والامداد للخلق ببواطنهم وظواهرهم صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين حازوا من قصب السبق فى مضمار الكمالات الصمدانية والمعارف المصطفوية ماصاروا به [illegible] الكبرى والمحجة البيضا الا [illegible] الخلق وأواخرهم صلاة وسلاما دائمين بد[illegible] العلماء وظهور

سوبقدهم وما ثرهم (وبعد) فانه وردعلينا من منذ سنين بمكة المشرفة زادها الله تشريفا وتكريما وجلالة ومهابة وتعظيما رجل من فضلاء القسطنطينية وصلحائهم لجمعه بين العلوم النقلية والعقليه والقوانين الطبية بالرسميه وعلوم الاخلاق والمواهب والاحوال والمطالب التى فاز بها القوم السالمون من الاعتراض باللوم سادا تنا الصوفيه وأئمتنا الطائفة الجنيديه فساجلنا وساجلناه مساجلة الاحبة الذين هم على سرر متقابلون ومن بحار المعارف يغترفون الى أن انجر الكلام الى الائمة الجامعين بين العلوم الرسميه والمعارف الوهبيه المتصفين بدوام العهود وهوامع الكرم والجود فقال ذلك الفاضل العالم الكامل أود منكم مختصرا جامعا ودستورا لطيفا مانعا يشتمل على تلخيص ما أطال به الائمة فى مناقب الامام الاعظم والقدوة المتقدم أبى حنيفة النعمان سقى الله مرقده شآبيب الرحمة والرضوان وأسكنه أعلى فراديس الجنان فبادرت الى امتثال أمره المحتم وبذلت الجهد فى تلخيص تلك المناقب بابدع مقصد أهم فجاء بحمد الله مختصرا لطيفا وانموذجا شريفا فكتب منه نسخة وذهب به الى بلده أعظم بلاد الاسلام ومحط رحال العلماء الاعلام ومنبع الافاضل ومفزع الاماثل ثم كتبه الناس بعده واقتفوا أثره وجده وتفرقوا به فى البلدان ولم يبق عندى الا نسخة الاصل والله المستعان فاستعارها بعض الحنفيه ليكتبها ويردها ثم سافر بها غير ملتفت الى عظيم وزر فقدها فتأثرت لذلك واعتمدت النظر فى الائمة المناقب من المسالك الى ان ظفرت بكتاب جامع فيه لصاحبنا الشيخ العلامه الصالح الفهامه الثقة المطلع والحافظ المتبع الشيخ محمد الشامى الدمشقى ثم المصرى فلخصت مقاصده ونقحت مصادره وموارده فى هذا الكتاب البديع الجامع المحكم المنيع (وسميته) الخيرات الحسان فى مناقب الامام الاعظم أبى حنيفة النعمان رحمه الله عليه ورتبته على مقدمات ثلاث وأربعين فصلا

(المقدمة الاولى)

اعلم ان بعض المتعصبين ممن لم يتبع توفيقا جاء في كتاب منسوب للامام الغزالي فيه من التعصب الفظيع واحط التشنيع على امام المسلمين واوحد الائمة المجتهدين ابي حنيفة رحمه الله ما تصم عنه الآذان ويطول عند سماعه الموفق المنصف ليت ذلك ما كان كيف وقد ادى ذلك شمس الائمة الكردري الى ان بسط الكلام في رد ذلك الكتاب وقابل مؤلفه مقابلة الفاسد بالفاسد فشنع على الشافعي رحمه الله اعظم من ذلك التشنيع وبسط الكلام بما لا يحصى من التشنيع كل ذلك منه بناء على ان ذلك الغزالي هو الامام محمد حجة الاسلام وليس هو هو لما يأتي من اسمائه من مدح ابي حنيفة وترجمته بما يليق بعلو كماله وايضا فلان النسخة التي رأيتها مكتوب على ظهرها ان هذا الكتاب تصنيف محمود الغزالي ومحمود هذا ليس بحجة الاسلام ومن ثمه كتب على حاشية تلك النسخة هذا تصنيف معتزلي اسمه محمود الغزالي وليس هو حجة الاسلام قال بعض محققي الحنفية ممن اخذ العلم عن المولى سعد الدين التفتازاني ونفرض ان ذلك صدر عن الغزالي حجة الاسلام فهذا انما صدر عنه حين كان متلبسا بعلوم الجدل وحظوظ طلبة العلم واما في آخر امره حين تخلى عن تلك الحظوظ وافيضت عليه سجال المعارف والشهود فقد عرف الحق لاهله واقره في محله والدليل على ذلك كلامه في الاحياء انتهى ولا بأس بذكر خلاصة كلامه في الاحياء ليعلم براءة مؤلفه حجة الاسلام مما نسب اليه وقبل ذلك نقدم عليه مقدمة وهي ان بعض علماء الهند اختصر الاحياء اختصارا بليغا سماه عين العلم لم يسبق الى مثل اختصاره مع تعدد مختصريه فانه اشار الى مقاصده في اوراق قليلة تكاد ان تكون من جوامع الكلم فلذا وضعت على كتابه شرحا له لانه لفرط ما فيه من الايجاز يكاد ان يعد من الالغاز وعبارة ذلك المختصر مع عبارة شرحي له وتمام العبارة سيأتي في آخر الورقة الثانية والاولى ان يختار من الائمة الاربعة من ظن انه

افضل

الفضل الا ربعة اعلمهم لان مذهب ابي حنيفة المشهور ان قوله وتصحيح ان ايمه نافذ في
البلاد ممتثله بالعمل بها اكثر ثم كل من أبي حنيفة ومالك والشافعي رحمة الله
عليهم امتاز باقليم لا يعرف فيه غير اتباعه او يكون اتباعه فيه اكثر كاقليم
الحجاز واليمن ومصر والشام وحلب وعراق العرب والعجم بالنسبة للشافعي
رحمه الله وكالمغرب الاقصى بالنسبة لمالك رحمه الله وكالروم والهند وما
وراء النهر بالنسبة لابي حنيفة رحمه الله ومن ثمه قال المصنف كان ابو حنيفة رحمه
الله عندنا معشر الحنفية فقد ورد من طريق اى يأتي الكلام عليها مبسوطا
قريبا أبو حنيفة سراج أمتي وفضله رحمه الله وما اشتهر عنه من العبادة
والورع والزهد والسخاء ودقة النظر وحدة الفكر يغني عن أن يستدل
لفضله بما أطبق العلماء عليه وصح في المنام الباري تعالى يقول انا
عند علم أبي حنيفة أي بالحفظ والقبول والرضا وانزال البركة فيه وفي
الآخذين به وسلم المخالفون سبقه في الفقه ومن ثمه قال الشافعي رحمه الله
الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة وقال أيضا من أراد أن يعرف الفقه
فليلزم أبا حنيفة وأصحابه وقال أيضا قلت لمالك كيف رأيت أبا حنيفة
فقال رأيت رجلا لو كلمك في السارية ان يجعلها ذهبا لقام بحجته ولما دخل
الشافعي بغداد زار قبره وصلى عنده ركعتين فلم يرفع يديه في التكبير وفي رواية
ان الركعتين كانتا صلاة الصبح ولم يقنت فقيل له في ذلك فقال أدبا مع هذا
الامام ان أظهر خلافه بحضرته وقال الفضيل بن عياض وناهيك به جلالة
كان أبو حنيفة معروفا بالفقه مشهورا بالورع ومن عظيم ورعه ما قاله الامام
عبد الله بن المبارك انه أراد شراء أمة فمكث عشرين سنة يتحير يشاور من
أي سبي يشتري وقال النضر بن شميل كان الناس نياما عن الفقه حتى
أيقظهم أبو حنيفة ودخل على أمير المؤمنين المنصور وعنده عيسى بن موسى
العابد الزاهد فقال للمنصور هذا عالم الدنيا فقال له المنصور عمن أخذت
العلم قال من أصحاب عمر عن عمر ومن أصحاب علي عن علي ومن أصحاب ابن

سعود عن ابن مسعود فقال له المنصور لقد استوثقت ومع ذلك أراد هلاكه في وقائع جرت له معه وراوده على أن يلي القضاء فلم يقبل فضربه مائة سوط وحبس الى أن مات في الحبس على قول وضرب أيضا عشرين سوطا على أن يلي أمر بيت المال فأبى ان يقبل وكان يقول اذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين أو عن أصحابه أخذنا ببعض أقوالهم ولم نخرج عنها أو عن التابعين زاحمناهم وكان يقوم كل الليل بعد ان كان يحيى نصفه فأشار اليه انسان وهو يمشي فقال هذا هو الذي يحيي كل الليل فلم يزل بعده يحيي كل الليل وقال أنا أستحيي من الله ان أوصف بعبادة ليست فيّ وقال بعضهم ما رأيت أصبر على الطواف والصلاة والفتيا بمكة من أبي حنيفة انما كان كل الليل والنهار في طلب الآخرة وسمع هاتفا في المنام وهو في الكعبة يقول ان يا أبا حنيفة أخلصت خدمتي وأحسنت معرفتي فقد غفرت لك أي لما كنت عليه من اخلاص الخدمة باحياء كل الليل وصيام أكثر الدهر وبذل الجهد في نشر العلم على الوجه الأكمل واحسان المعرفة باتقان العلوم الظاهرة والباطنة والاخلاص فيها ورفض الدنيا والاعراض عنها رأسا والاقبال على الآخرة وبذل الوسع في تحصيل أسبابها ومن هذه صفاته أقرب الى رجاء المغفرة له على وجه مخصوص لا يبقى له ذرة تقصير ولمن اتبعك بتركة اخلاصك واحسانك المذكورين الى قيام الساعة وفي هذا من البشرى له ولاتباعه ما يحمل الموفق منهم على بذل طاقته في اقتفاء آثار امامه فيما كان عليه من تلك الاخلاق العلية والصفات الطاهرة الزكية التي قل أن تجتمع الا للعارفين والائمة المجتهدين وتلمذ له كبار من المشايخ الائمة المجتهدين والعلماء الراسخين كالامام الجليل المجمع على جلالته ورياسته وتقدمه وزهده عبد الله ابن المبارك وكالامام الليث بن سعد وكالامام مالك بن أنس وناهيك بهؤلاء الائمة وكالامام مسعر بن كدام وزفر وأبي يوسف ومحمد وغيرهم وتحمل لتقلد القضاء أي لاجل أن يتولاه وكذا مفاتيح خزائن بيت المال ما تحمل من

العقوبة

العقوبة بالضرب الشديد لما أبي عن ذلك ايثاراً لعذاب الدنيا على عذاب الآخرة ومن ثمة لما ذكر عند عبد الله بن المبارك قال أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها وما خالط الظلمة مع سؤالهم له في ذلك والحاحهم عليه وتهديده ان لم يفعل وما قبل منهم شيأ قط وان قل ومن ثمة لما أرسل اليه أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم على يد الحسن بن القحطبة ولم يمكنه ردها أوصى ابنه حماداً انه اذا مات ودفن يردها للحسن ففعل فقال له رحمة الله على أبيك لقد كان شحيحاً على دينه وما اشتغل بالدعوة أي بدعوة الناس الى مذهبه الا بالاشارة النبوية في المنام اليه ليدعوهم الى مذهبه بل ما قصد الازدراء بل الاستعفاء عنهم تواضعاً واحتقاراً لنفسه عن ان يجعل لها حظاً أو يرى منها أو لها فعلا حسنا يستحق أن يجعل داعية الناس الى الاقتداء والعمل به فلما جاءه الاذن ممن فوضت اليه قسمة خزائن الله تعالى على مستحقيها علم أن ذلك أمر حتم لا بد منه فدعى الناس اليه حتى ظهر مذهبه وانتشر وكثرت أتباعه وخذلت حساده ونفع الله به شرقاً وغرباً وعجماً وعربا ورزق حظاً وافراً في اتباعه فقاموا بتحرير أصول مذهبه وفروعه وأمعنوا النظر في منقوله ومعقوله حتى صار بحمد الله محكم القواعد محدث الفوائد ويؤيد ذلك ما حكاه بعض أصحاب المناقب أن ثابتاً والده أتى به وهو صغير لعلي كرم الله وجهه فدعى له بالبركة وفي ذريته فكان ما أوتيه أبو حنيفة من بركة تلك الدعوة وما استظل بحائط المديون حين أتاه متقاضيا تورعا منه من أن يرتفق بشئ من آثار هديه واعلاما للمدين انه لا يرغب في رفق منه فان قبوله منه وان حل بطريق الشرع ينافي كمال المروءة والورع ومحاسن الاخلاق وكان له رحمه الله من ذلك ومن تجنب الشبهة ما أمكنه الحظ الوافر ومن ثمة تصدق بجميع مال أتى به وكيله اليه لما خلط به ثمن ثوب معيب بيع حال كونه مخفيا عيبه من بائعه فهو وان لم يكن عليه اثم لجهله لكن فيه شبهة ما واثما لم يرده لمشتريه ويسترده كانه للجهل بالمشتري مع اليأس من العلم به فتصدق به لما يأتي

مبسوطا في باب التوبة قيل وكان المال الاثني آلفا ووقع له قطائر لذلك متعددة كما في كتب المناقب ومن عظيم ورعه وزهده ما مر من قصة الجارية التي أراد أن يشتريها ومن ذلك أيضا انه نزل لحم الغنم لما اختلطت شاة في الكوفة الى أن يعلم موتها لانه سأل عن أكثر ما تعيش فقيل له سبع سنين فترك أكل لحمها سبع سنين في زمانه لاحتمال ان تبقى تلك الشاة الحرام فيصادف أكل شئ منها فيظلم قلبه اذ هذا هو شأن أكل الحرام وان اتقى الاثم للجهل بعين الحرام ولاجل ذلك فاز أهل الورع بما سبقوا به غيرهم من نور القلوب وتأهلهم لشهود المحبوب وقيامهم في خدمته بحسب طاقتهم واعراضهم عن القواطع عنه طرق مقدرتهم وليس ما ذكر من مناقب هذا الامام يراد به حصر مناقبه فيه بل هو قطرة من بحر لا ساحل له ومن غررها انه صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة فقيل له ما الذي قواك على هذا قال انى دعوت الله باسمائه على حروف المعجم وهي مجموعة في كل من آيتين الاولى محمد رسول الله الى آخر سورة الفتح والثانية ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا الآية في سورة آل عمران وانه كان يختم في رمضان ستين ختمة ختمة بالليل وختمة بالنهار الى غير ذلك من مناقب أخر له يعسر تعدادها فرحمه الله ورضي الله عنه وأرضاه وجعل جنات الفردوس منقلبه ومثواه انتهى كلام مختصر الاحيا مع شرحي له وبه يعلم براءة الامام الغزالي حجة الاسلام مما نسب اليه من التعصب حاشاه الله منه

﴿المقدمة الثانية﴾

في بيان أمور يتم نفعها ويشيع بالطالب جهلها اذ به يقع في ورطة عظيمة ومهوة قبيحة غير مستقيمة فتعين ايرادها أولا وايضاح ما لهما تعلق مجملا ومفصلا منها عليك أيها الموفق ان أردت النجاة في الآخرة والسلامة من خطر الوقيعة في أحد من أولياء الله تعالى وورثة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ان تعتقد أن كل واحد من الائمة المجتهدين والعلماء العاملين على

هدى من الله ورضوان وانهم كلهم ما جورون ولا يسائر الحالات باتفاق أئمة النقل والبرهان وقد روى البيهقى انه صلى الله عليه وسلم قال مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به فلا عذر لاحد فى تركه فان لم يكن فى كتاب الله فسنة ماضية منى فان لم تكن سنة منى فما قال أصحابى ان أصحابى بمنزلة النجوم فى السماء فايما أخذتم به اهتديتم واختلاف أصحابى لكم رحمة ففيه اخباره صلى الله عليه وسلم باختلاف المذاهب بعده فى الفروع من منذ زمن أصحابه الذى هو زمان الهدى والارشاد المشهود لهم من مشرفهم بانه خير القرون على الاطلاق ويلزم من اختلافهم اختلاف من بعدهم لان كل صحابى مشهور بالفقه والرواية أخذ بقوله ومذهبه جماعة ومع ذلك رضى به صلى الله عليه وسلم وأقرهم عليه ومدحهم حتى جعل نفس ذلك الاختلاف رحمة للامة وخيرهم فى الاخذ بقول من شاؤا من أصحابه اللازم له الاخذ بقول من أرادوا من المجتهدين بعدهم الجارين على منوالهم والسالكين لمسالكهم فى أقوالهم وأفعالهم وقد أقر صلى الله عليه وسلم اختلاف أصحابه فى وقائع حرت لهم فى زمنه ولم يعترض أحدا فيما قاله ورآه مخالفا لما قاله نظيره ورآه كما يشهد بذلك وقائع كثيرة شهيرة من ذلك قصة اختلافهم فى أسرى بدر فان أبا بكر ومن تبعه أشاروا باخذ الفداء منهم وعمر ومن تبعه أشاروا بقتلهم فحكم صلى الله عليه وسلم بالاول ونزل القرآن بتفضيل الرأى الثانى مع تقرير الرأى الاول ففيه أوضح دليل على تصويب الرأيين وان كلا من المجتهدين مصيب ولو كان الرأى الاول خطأ لم يحكم به صلى الله عليه وسلم وقد أخبر تعالى بانه عين حكمه بقوله لولا كتاب من الله سبق وطيب الفداء بقوله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وانما وقع العتب على اختيار غير الافضل ومن ثم كان أكثر ما يقع الترجيح فى المذاهب بالنظر الى الافضل من حيث قوة الادلة والقرب من الاحتياط والورع وذلك فى مسائل معدودة لا من حيث مجموع المذهب وأما بالنظر الى التصويب فكله صواب وحق لا شبهة فيه ومن هذا كانت طريقة

الصوفية أعدل الطرق وأفضلها وهي الاخذ بالاشد والاحوط في كل مسئلة بحيث يخرجون من جميع الاقاويل ويأتون بعبادة تجمع على صحتها ويوافق ذلك قول أئمتنا يسن الخروج من كل خلاف لم يضعف مدركه ولم يخالف سنة صحيحة أي مخالفة صريحة لا يمكن تأويلها وقد صرحوا بانه يسن الوضوء من كل ما قيل فيه انه ناقض وكان ابن شريح يغسل اذنيه مع وجهه ويمسحهما مع رأسه ويمسحهما منفردتين احتياطا في الكل بخروجا من الخلاف ومن ذلك أيضا قصة اختلافهم في قوله صلى الله عليه وسلم حين أراد غزو بني قريظة لا يصلين احد الظهر الا في بني قريظة فانهم لما تخيروا من المدينة اليهم وقد تضايق وقت الظهر اختلفوا فصلى جماعة منهم الظهر خشية خروج وقتها واحتجوا بانه صلى الله عليه وسلم انما قال ذلك تحريضا على الاستعجال ولم يرد اخراج الصلاة عن وقتها فاستنبطوا من النص معنى بينوا به ان الحصر في قوله الا في بني قريظة اضافي لا حقيقي وامتنع آخرون عن صلاة الظهر الى ان وصلوا بني قريظة بعد دخول وقت العصر واحتجوا بانه صلى الله عليه وسلم أطلق الحصر ولم يبينه فكان المراد به حقيقته ثم بلغه اختلافهم وفعلهم فلم ينكر على أحد من الفريقين وأقر كلا على مافهمه اشارة الى ان الكل مجتهد ون مأجورون على هدى من الله تعالى فلا لوم على أحد منهم ولا ينسب اليه خلل ولا تقصير لاسيما مع استحضارك لقوله صلى الله عليه وسلم فايما أخذتم به اهتديتم فجعل الكل مهتدين فكيف مع ذلك ينسب لاحد منهم خطأ أو تقصير وأخرج ابن سعد والبيهقي عن أبي بكر رضي الله عنه انه قال كان اختلاف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للناس وأخرج ابن سعد عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه قال ما يسرني باختلاف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حمر النعم رواه البيهقي بلفظ ما يسرني ان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا لانهم لو لم يختلفوا لم يكن رخصة ولما أراد هرون الرشيد ان يعلق موطأ مالك في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه قال له مالك لا تفعل يا أمير

المؤمنين

المؤمنين فان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلدان وان اختلاف العلماء رحمة من الله تعالى على هذه الامة كل يتبع ما صح عنده وكل مصيب وكل على هدى فقال له هرون وفقك الله يا أبا عبد الله ووقع مثل ذلك مع المنصور أيضا لما أراد أن يرسل الى كل مصر نسخة من كتب مالك ويأمرهم ان يعملوا بما فيها ولا يتعدوه الى غيره فقال له مالك لا تفعل هذا فان الناس قد سبقت اليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ورووا روايات وأخذ كل قوم بما سبق اليهم ودانوا به من اختلاف الناس فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لانفسهم وبما تقرر يظهر اتجاه القول بان كل مجتهد مصيب وان حكم الله تعالى في كل واقعة تابع لظن المجتهد وهو أحد القولين للائمة الاربعة ونسب ترجيحه لاكثر الشافعية والحنفية والباقلاني ولا ينافيه الخبر الصحيح المصرح بان المصيب أجرين وللمخطئ أجرا لانه محمول كما قال الحافظ الجلال السيوطي على ان المخطئ من المجتهدين انما أخطأ في عدم ادراكه الافضل والاولى كما عتب على الصحابة في اختيار الفداء لانه غير الافضل مع انه حكم صواب وقد قال الفقهاء فيمن صلى رباعية الى أربع جهات كل ركعة الى جهة بالاجتهاد لا قضاء عليه مع القطع بان ثلاث ركعات منها الى غير القبلة واختلف اجتهاد عمر رضي الله عنه في الجد يقضي فيه بقضايا مختلفة وكان يقول ذلك على ما قضينا وهذا على ما نقضي وأخرج البيهقي مرسلا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقضي القضاء وينزل القرآن بغير ما قضى فيستقبل حكم القرآن ولا يرد قضاءه الاول انتهى وفيما قاله واستدل به نظر واضح لاسيما ما ذكره آخرا اذ اجتهاده صلى الله عليه وسلم معصوم من الخطأ على الصواب بخلاف اجتهاد غيره ونقل الكردري عن الشافعي رحمه الله ان المجتهدين القائلين بحكمين متباينين بمنزلة رسولين جاآ بشريعتين مختلفتين وكلاهما حق وصدق وقال الامام المازري القول بان الحق في طرفين هو ما عليه أكثر أهل التحقيق من العلماء والمتكلمين وهو مروي

من الائمة الاربعة واحتجوا بانه صلى الله عليه وسلم جعل له أجرا ولو لم يصب
لم يؤجر وأجابوا عن اطلاق الخطأ في الخبر بانه محمول على من ذهل عن النص
واجتهد فيما لا يسوغ الاجتهاد فيه من القطعيات مما خالف الاجماع فان مثل
هذا اذا اتفق الخطأ فيه هو الذي يصح اطلاق الخطأ فيه وأما من اجتهد في
مسئلة ليس فيها نص أي قاطع ولا اجماع فلا يطلق عليه الخطأ وأطال الامام
المازري في تقرير ذلك وفي الشفاء لعياض القول بتصويب المجتهدين هو
الحق والصواب عندنا وقد قال صاحب جمع الجوامع والمتكلمون عليه
ونعتقد ان أبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد والسفيانين والاوزاعي وابن
جرير وسائر أئمة المسلمين على هدى من الله تعالى ولا التفات الى من تكلم فيهم
بما هم بريئون منه فقد حازوا من العلوم اللدنية والمواهب الالهية
والاستنباطات الدقيقة والمعارف الغزيرة والدين والورع والعبادة والزهادة
والجلالة بالمحل الذي لا يسامى انتهى ورأى بعض الائمة النبي صلى الله عليه
وسلم وسأله عن اختلاف المجتهدين فقال كل في اجتهاده مصيب فذكر له
الرائي قول أبي حنيفة المجتهدان مصيبان والحق في واحد وقول الشافعي
المجتهدان مصيب ومخطئ معفو عنه فقال صلى الله عليه وسلم هما قريبان في
المعنى وان كانا مختلفين في اللفظ فقلت أيهما أولى بالاخذ من الفريقين فقال
صلى الله عليه وسلم كلاهما على الحق ومنها علمك أيضا ان تعتقد ان
اختلاف أئمة المسلمين من أهل السنة والجماعة في الفروع نعمة كبيرة ورحمة
واسعة وفضيلة رائقة وله سر لطيف أدركه العلماء العاملون وعمي عنه
الجاهلون حتى قال بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم جاء بشرع واحد فمن أين
مذاهب أربعة ووجه ذلك ان الله تعالى خص هذه الشريعة برفعه عن أهلها
الآصار والاثقال التي كانت على الامم قبلها كتحتم القصاص في شريعة
موسى عليه السلام لانه أرسل بالجلال الصرف وتحتم الدية في شريعة عيسى
عليه السلام والتخيير بينهما في شريعتنا وكقرض محل النجاسة من البدن

الثمر صحيح غسلها بالملح في شرعنا وكامتناع النسخ في شريعة اليهود
وجوازه في شرعنا ومن ثمة استعظموا نسخ القبلة وكتكبيرهم فانها الا تقرأ
الا على حرف واحد وكتابنا يقرأ على حروف سبعة بل عشرة كل ذلك لقوله
تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله عز وجل وما جعل عليكم في
الدين من حرج وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة فمن
سماحتها ويسرها ورفع الآصار عنها وقوع اختلاف أئمتنا في الفروع لكون
المذاهب على اختلافها كشرائع متعددة حتى لا يضيق الامر عليهم بالتزام
شيء واحد وحتى يثاب كل عامل بمذهب صحيح ويصلح عليه وحتى ان من رأى
له فسحة في غير مذهبه جاز له بشرطه الانتقال اليه والعمل به وكل هذه نعم
عظيمة الموقع واسعة الرفق لاسيما وهي مؤذنة بغاية رفعته صلى الله عليه وسلم
وتميزه على بقية الانبياء بالتوسعة لاجله على أمته بتخييرهم في الامر الواحد
بالعمل بكل ما فيه سهولة لهم لتصويب كل مجتهد منهم ومدحه وان فرض
خطؤه وقد قرر السبكي ان جميع الشرائع السابقة شرائع له صلى الله عليه
وسلم والانبياء صلوات الله عليهم كالنواب عنه لانه نبي وآدم بين الروح
والجسد فهو اذن نبي الانبياء وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم بعثت
الى الناس كافة فهو مبعوث الى الخلق كلهم من لدن آدم الى قيام الساعة انتهى
واذا تقرر ان شرائع الانبياء شرائع له زيادة في تعظيمه فالشرائع التي استنبطها
أصحابه ومن تابعوهم باحسان من أقواله وأفعاله على تنوعها شرائع متعددة له من
باب أولى خصوصا وقد أخبر بوقوعها ووعد بالهداية على الاخذ بها ورضي بها
ومدحنا عليها وجعل ذلك رحمة أي رحمة ومنة أي منة كما مر بيان ذلك ومن
ثمة لما جعل اختلاف هذه الامة رحمة أخبر بان اختلاف الامم السابقة هلاك
وعذاب أي لانهم لم يوسع لهم كما وسع لهذه الامة فكان اختلافهم محض كذب
وتقول على أنبيائهم بما هم بريئون منه ومنها بتأكد عليك غاية التأكد
الذي لا رخصة فيه ان لا تفضل بعض المذاهب على بعض تفضيلا يؤدي الى

تنقيص المفضل عليه فان ذلك يؤدي الى المقت والخزي في الدنيا والآخرة وسيأتي عن الله تعالى انه قال من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب وعلماء المسلمين العاملون كلهم أولياء الله تعالى من غير شك ولا ريب وكثيرا ما يؤدي التفضيل الى الخصام القبيح بين السفهاء ومن لا خلاق لهم ولا دين ولا تقوى الى ان يظهر من بعضهم قبيح العصبية وحمية الجاهلية ويفضي ذلك بهم الى ترجيح مذهب امامه واطلاق لسانه في غيره بعدم ارب وغفلة تامة عما يترتب بسبب ذلك من المقت والخزي والى ان ينتصر بعض مقلدي مخالفه لامامه فيرد على الاول ويطلق لسانه فيه ويتعدى الى امامه ويطلق لسانه فيه وأعماه ان ذلك من باب مقابلة الفاسد بالفاسد ولو عرض كلام كل منهما على امامه لزجره عنه وتبرأ منه وهجره لاجله ولو قوعه بقبيح ما ارتكبه في شرك المقت والردى اذ ربما آيس من موته على الهدى وقد أخبر ابن عباس رضي الله عنهما بان سبب هلاك الامم السابقة تماريهم وخصوماتهم في دين الله حفظنا الله من وعير هذه المسالك وحشرنا في زمرة أولئك الائمة فانا نحبهم ونعظمهم بما نرجو به ان نحشر معهم على الارائك اذ من أحب قوما حشر معهم كما أخبر به مورثهم ومشرفهم وكفى من انتقص أحدا منهم ان يحرم هذه الموافقة في ذلك الجمع الاكبر وان ينادى عليه فيه هذا عدو أولياء الله فليس له الا الخزي والعذاب في الحشر

﴿المقدمة الثالثة فيما ورد من تبشير النبي صلى الله عليه وسلم بالامام أبي حنيفة رحمه الله﴾

اعلم ان أعظم ذلك وأجله وأوضحه وأكمله ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة وأبو نعيم عنه والشيرازي والطبراني عن قيس بن سعد بن عبادة والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كان العلم عند الثريا لتناوله رجال من ابناء فارس ولفظ الشيرازي وأبي نعيم لو كان العلم معلقا عند الثريا ولفظ الطبراني عن قيس لا تناله العرب لناله

رجال من ابناء فارس ولفظ مسلم لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من
ابناء فارس قال الحافظ المحقق الجلال السيوطي هذا أصل صحيح يعتمد عليه
في البشارة بأبي حنيفة رحمه الله وفي الفضيلة التامة له نظير الحديث الذي في
مالك رحمه الله وهو قوله صلى الله عليه وسلم يوشك ان يضرب الناس اكباد
الابل يطلبون العلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة والحديث الذي في
الشافعي رحمه الله وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ
الارض علما وهو حديث حسن له طرق كثيرة. وزعم بعضهم وضعه وزيفوه
وشنعوا على زاعمه ومخترعه قال العلماء عالم المدينة في الحديث الاول مالك وعالم
قريش في الحديث الثاني الشافعي قال بعض تلامذة الجلال وما جزم به شيخنا
من ان الامام أبا حنيفة هو المراد من هذا الحديث ظاهر لا شك فيه لانه لم يبلغ
أحد أي في زمنه من ابناء فارس في العلم مبلغه ولا مبلغ أصحابه وفيه معجزة
ظاهرة للنبي صلى الله عليه وسلم حيث أخبر عما سيقع وليس المراد بفارس البلد
المعروف بل جنس من العجم وهم الفرس وسيأتي ان جد الامام أبي حنيفة
منهم على ما عليه الاكثرون وفي خبر عن الديلمي خير العجم فارس قال الجلال
وبهذا الخبر أي المتفق على صحته يستغنى عن الخبر الموضوع المروي في حق أبي
حنيفة رحمه الله قال تلميذه المذكور أشار شيخنا بهذا الى رد ما ذكره بعض
أصحاب المناقب ممن ليس له دراية بعلم الحديث فان في سنده كذابين ووضاعين
ولفظ خبرهما يكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة النعمان هو سراج أمتي الى
يوم القيامة وفي لفظ يكون في أمتي رجل اسمه النعمان وكنيته أبو حنيفة هو
سراج أمتي هو سراج أمتي وفي لفظ سيأتي من بعدي رجل يقال له النعمان بن
ثابت ويكنى أبا حنيفة يحيي دين الله تعالى وسنتي على يديه وفي لفظ في كل قرن
من أمتي سابقون وأبو حنيفة سابق هذه الامة وفي لفظ عن ابن عباس رضي
الله عنهما يطلع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر على جميع خراسان يكنى
بأبي حنيفة وفي لفظ آخر عنه ان الرأي لحس وانه يكون بعد نار أي حنيف

يحيى به الاحكام ما بقى الاسلام وانه كرأينا رأيا حكامنا يقوم به رجل يقال له
النعمان بن ثابت الكوفى ويكنى بابى حنيفة وهو من أهل الكوفة جهبذ فى
العلم والفقه يصرف الاحكام على وجهها ينبئ الدين بالرأى الحسن وعن
لقطا عن ابن سيرين انه لما قص عليه مناما الا رأى قال له اكشف عن ظهرك
وبساركه فكشف فرأى بين كتفيه أو عضده يساره خالا فقال صدقت أنت
أبو حنيفة الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حقه يخرج من أمتى
رجل يقال له أبو حنيفة بين كتفيه وفى رواية على يساره خال يحيى دين الله
تعالى وسنتى على يديه وهذه كلها موضوعات لا يروج على من له أدنى المام
بنقد الحديث وقد أوردها ابن الجوزى فى الموضوعات واقره الذهبى
وشيخنا الحافظ الجلال السيوطى فى مختصريهما والحافظ أبو الفضل شيخ
الاسلام ابن حجر فى لسان الميزان وتبعهما الامام الحافظ الذى انتهت اليه
رياسة مذهب أبى حنيفة فى زمنه الشيخ قاسم الحنفى ومن ثمة لم يورد شيأ منها
أئمة الحديث الذين صنفوا فى مناقبه كالطحاوى وصاحب طبقات الحنفية
محيى الدين القرشى وآخرين كلهم حنفيون ثقات اثبات نقاد لهم اطلاع كثير
انتهى حاصل كلام تلميذ الجلال رحمهما الله تعالى ومن اطلع على ما يأتى فى
هذا الكتاب من أحوال الامام أبى حنيفة وكراماته وأخلاقه وسيرته علم انه
غنى عن ان يستشهد على فضله بخبر موضوع أو لفظ موضوع لاسيما
ما تقرر من حديث البخارى ومسلم وغيرهما المحمول على أبى حنيفة كنظرائه
من العجم ولكن هو أعلى منهم وأجل كسلمان الفارسى رحمه الله وما يصلح
للاستدلال به على عظم شأن أبى حنيفة رحمه الله ما روى عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال ترفع زينة الدنيا سنة خمسين ومائة ومن ثمة قال شمس الائمة
الكردرى فى الكاف ان هذا الحديث محمول على أبى حنيفة لانه مات تلك
السنة رحمة الله عليه

﴿الفصل الاول فى بيان الاسباب الحاملة على تأليف هذا الكتاب﴾ الاول

مثبتاً عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم بسند حسن
بل ذكره مسلم فى مقدمة صحيحه وابن خزيمة فى صحيحه قالت أمرنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم وفى رواية الطبرانى أنزل
الناس منازلهم فى الخير والشر وفى أخرى أنزلوا الناس منازلهم وأروا الناس
عقولكم وجاء عن على كرم الله وجهه من أنزل الناس منازلهم رفع المؤنة
عن نفسه . الثانى انه وقع فى تاريخ الخطيب ومنتظم أبى الفرج بن الجوزى
ذكر أشياء تنافى كمال أبى حنيفة رحمه الله على ان الخطيب ذكر من فضائله
بعد ذلك بأسانيده المشهورة ما يبهر العقل ذكره بل كل من جاء بعده انما
يستمد فى ترجمة الامام منه وكذلك وقع فى المنخول المنسوب للامام الغزالى
حجة الاسلام ذكر أشياء من ذلك واغلقنا المنسوب لانه لم يصح نسبة
جميع ما فى هذا الكتاب اليه فيحتمل ان تكون تلك الالفاظ الشنيعة اختلقت
عليه بدليل انه مدحه فى كتاب احياء علوم الدين المتواتر عنه بما يليق بكمال
أبى حنيفة رحمه الله وأجاب بعض المحققين من الحنفية كابن بأنه بتقدير
صدور هذا من الغزالى فهو فى حال ابتداء أمره حين كان على شأن الفقهاء
المتعصبين فلما ترقى عن ذلك وطهر أخلاقه ووصل الى ما وصل اليه من
الكمالات رجع عن ذلك وذكر الحق فى كتاب الاحياء كما يدل له قوله فيما
حدث من الخلافيات والمجادلات فيها والتحريرات والتصنيفات فاياك وان
تحوم حولها فاجتنبها اجتناب السم القاتل فانه الداء العضال وهو الذى رد
الفقهاء كلهم لطلب المنافسة والمباهاة على ما سيأتيك تفصيل غوائلها
وآفاتها وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال الناس أعداء ما جهلوا ولا
تظن ذلك فعلى الخبير سقطت واقبل هذه النصيحة ممن ضيع عمره فيه زمانا
وزاد فيه على الاولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم ألهمه الله تعالى رشده
وأطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه انتهى وكذلك وقع كابن بسط
الكلام فيه من بعض المتعصبين ممن يسمى بالعراقى حتى ظن انه الامام حجة

الاسلام وليس كذلك وانما هو شخص آخر مجهول له تأليف مستقل فى الحط الشنيع على أبى حنيفة رحمه الله مع نزاهته وبراءته مما نسب اليه فيه على اعتبر بعض الزنادقة والمحرومين من الخير اختلق ذلك ونسبه الى ذلك الامام الكبير والعلم الشهير الذى هو حجة الاسلام ليروج على الناس ما افتراه فكان بسبب ذلك من أضله الله وأعماه فحينئذ تعين على كل من قدر على تزييف ما فى الكتب وتسفيهه ان يبطل جميع ما فيها وان يكذب واضعها ومختلقها بما أطبق عليه العلماء المعتبرون والائمة المجتهدون من تعظيم ذلك الامام الاعظم والحبر المقدم امتثالا للاحاديث السابقة واللاحقة

• الثالث تبيين خطأ المتعصبين فى قولهم ما تكلمنا فى أبى حنيفة وغيره الالان ذلك متعين علينا لتبيان أحوال الرجال وتمايز أوصافهم التى عليها مدار الرواية والنقد والكمال وكلامهم هذا من منوال كلام الخوارج الذى قال فيه على كرم الله وجهه لما احتجوا عليه به كلمة حق أريد بها باطل فكذلك كلام أولئك كلام حق فى نفسه لكن أريد به باطل وأى باطل انهم تعمدوا فى ذلك الاعلى كلمات صدرت من بعض معاصريه فى حقه حسدا له على ما آتاه الله تعالى من فضله أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وكذا صدر من بعض ما جاء بعده كلمات نسبوها اليه لا تصدر عمن له أدنى كمال بل دين وليس قصدهم الا شينه واخمال ذكره ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره المشركون وكفاهم فى زجرهم ونكالهم ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم بسند جيد أيما رجل أشاع على رجل بكلمة وهو منها برىء يشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله تعالى أن يحبسه فى جهنم حتى يأتى بنفاذ ما قال وفى رواية صحيحة من قال فى مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله تعالى ردغة الخبال حتى يخرج مما قال وليس بخارج وردغة الخبال بفتح فسكون الدال المهملة فمعجمة فخاء معجمة مفتوحة فموحدة عصارة أهل النار كما فى حديث مرفوع • الرابع تبيين أنه رحمه الله كسائر أئمة الاسلام ممن صدق عليهم

قوله تعالى ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ووجه ذلك المصدق أن كلا من أولئك الائمة المجتهدين والعلماء العاملين صحت عنه كمالات باهرة للعقول وأحوال وكرامات لا ينكرها الا المعاند الجهول فهم الاولياء على الحقيقة والجامعون بين الحقيقة والشريعة واذ قد تمهد ذلك فمتنقص أحد منهم ممن حقت عليه كلمة الطرد والمقت كيف وهو قد أدخل نفسه فيما لا طاقة له به من محاربة الله تعالى ورسوله ومن حارب الله هلك هلاكا أبديا نعوذ بالله من ذلك والدليل على هذا ما رواه الائمة البخارى وغيره من طرق كثيرة تزيد على خمسة عشر طريقا من جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى قال من عادى أو أذل أو آذى أو أهان روايات لى وليا وفى رواية ولى المؤمنين فقد آذنته أى أعلمته بالحرب وفى رواية فقد استحل محاربتى وفى أخرى فقد بارزنى بالمحاربة وقوله لى ظرف لغو ويجوز أن يكون مستقرا لانه حال قدمت على صاحبها النكرة والمحاربة فيه من باب يخادعون الله وطاقيت اللص وحكمة ايثاره المخاطبة بما يفهم اذ الحرب ينشأ عن العداوة الناشئة عن المخالفة وغايتها اللازمة لها الهلاك أى من كرهمن أحببته عادانى وعاندنى ومن عاندنى فقد تعرض لاهلاكى اياه أشد الهلاك وأطلقه فأطلق الحرب وأريد لازمها واذ قد علمت هذا علمت أن فيه من الوعيد الشديد والزجر الاكيد والمنذر البليغ ما يحمل من له أدنى مسكة من عقل فضلا عن دين على أن يجتنب الخوض فى شئ مما يتنقص به أحدا من أئمة الاسلام ومصابيح الظلام وأن يبالغ فى البعد عن ايذائهم بوجه من الوجوه فانه يؤذى الاموات ما يؤذى الاحياء وكيف يسع أحدا أن يقدم على شئ من ذلك والله تعالى يقول انى لاغضب لاوليائى كما يغضب الليث الحرب وفى رواية عند الامام أحمد رحمه الله عن وهب بن منبه قال قال الله عز وجل لموسى عليه السلام حين كلمه

ربه جل وعلا اعلم أن من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ونادانى وعرض نفسه ودعانى اليها وأنا أسرع شئ الى نصرة أوليائى أيظن الذى يحاربنى أن يقاومنى أو يظن الذى يبارزنى أن يعجزنى أو يسبقنى أو يفوتنى كيف وأنا الثائر لهم فى الدنيا والآخرة فلا أكل نصرتهم الى غيرى فتأمل ثم تأمل واحذر أن تخوض غمرة هذه البلية المهلكة فان الله تعالى لا يبالى بك فى أى واد هلكت ومن ثمة قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى كتابه تبيين كذب المفترى فيما نسب للامام أبى الحسن الاشعرى لحوم العلماء مسمومه وعادة الله فى هتك أستار منتقصيهم معلومه وقال أيضا لحوم العلماء سم من شمها مرض ومن ذاقها مات قال وقد جمع العلماء فضائلهم واعتنوا بسيرهم وأخبارهم فمن ذكر فضائل أبى حنيفة ومالك والشافعى رحمهم الله بعد فضائل الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين واعتنى بها ووقف على كريم سيرهم وهديهم كان ذلك له عملا زاكيا نفعنا الله تعالى بحب جميعهم ومن لم يحفظ من أخبارهم الا ما ذكر من قول بعضهم فى بعض على الحسد والهفوات والغضب حرم التوفيق ودخل فى الغيبة وحاد عن الطريق جعلنا الله واياك ممن يستمع القول فيتبع أحسنه آمين • الخامس ان أئمة حفاظا رجوا هذا الامام وأطالوا فى ترجمته قديما وحديثا فقصدت ان أنتظم فى سلكهم لتعود على بركة هذا الامام كما عادت عليهم وقد روى ابن الجوزى عن سفيان بن عيينة انه قال عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة وان ألخص جميع ما ذكروه بأوجز عباره وأبلغ اشاره معرضا عن ذكر الاسانيد معولا على ما بسطوه منها فى كتبهم مما يزيل الشك والترديد لاعراض الناس عن المطولات واكبابهم على المختصرات لما ان الهمم قد تقاصرت والاغراض الفاسدة المنافية للدأب فى العلوم قد تكاثرت فلا ترى الا ولها نائما أسلك أشعة القمر بحسبانها قضبان الذهب أو غريقا فى بحر شهواته التى أشغلته عن التطلع الى أدنى كمال أو أدب

(الفصل

﴿الفصل الثاني في ذكر نسبه﴾ اختلفوا فيه فقال أكثرهم وصححه المحققون انه من العجم وعليه ما أخرج الخطيب من عمر بن حماد ولده أنه ابن ثابت بن زوطى أى بضم الزاى كموسى وبفتحها كسلمى ابن ماه من أهل كابل أى بضم الموحدة بلدة من اقليم بناحية الهند ملكه بنو تيم الله بن ثعلبة فاسلم فاعتقوه وولد ثابت على الاسلام وقيل من أهل الانبار بفتح الهمزة ثم انتقل لنسا بفتح أوليه وبالقصر فولد بها أبو حنيفة فلما ترعرع انتقل به وقيل من أهل ترمذ ولامانع انه نزل هذه البلاد الاربعة فنقل كل ما حفظه وترمذ بتثليث أوله وضم الميم وكسرها وبالذال المعجمة مدينة على طرف جيحون وأخرج أيضا من اسمعيل بن حماد أخى عمر المذكور انه قال ان ثابت بن النعمان ابن المرزبان أى بفتح فسكون فضم الزاى وقد تفتح معرب الرئيس من أبناء فارس الاحرار ووالله ما وقع لنا رق قط ذهب ثابت الى الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه صغيرا فدعا له بالبركة فيه وفى ذريته ونحن نرجو من الله أن يكون استجاب ذلك فينا واهدى النعمان الى على كرم الله وجهه فالوذجا يوم النيروز أى بفتح أوله معرب يوم جديد من أعيادهم فقال نوروزونا كل يوم وقيل كان فى المهرجان أى معرب محبة الروح هكذا مركب من مهر بكسر أوله وجان فقال على كرم الله وجهه مهرجونا كل يوم وتخالف الاخوين فى أن والد ثابت النعمان أو زوطى وجده المرزبان أو ماه أجيب عنه بانه يحتمل أن يكون لكل اسمان أو اسم ولقب أو معنى زوطى النعمان والمرزبان ماه وتخالفهما فى مس الرق يجاب عنه بان من أثبته أراد فى الجد ومن نفاه أراد فى الاب الذى هو ثابت لكن قال ولد لاسمعيل المذكور انهم موالى وان المسبى من كابل هو ثابت فاشترته امرأة من بنى تيم الله فاعتقته وقيل ثابت بن طاوس بن هرمز ملك بنى ساسان وقيل انه عربى فزوطى من بنى يحيى بن زيد بن أسد وفى نسخة ابن راشد الانصارى ورد وقد م جماعة من أصحاب المناقب ما مر عن حفيديه فانهما أعرف بنسب

جدهما
﴿الفصل الثالث في مولده﴾ الأكثرون على أنه ولد سنة ثمانين بالكوفة في
خلافة عبد الملك بن مروان وردوا ما شذ به بعضهم أنه ولد سنة احدى وستين
﴿الفصل الرابع في اسمه﴾ اتفقوا على أنه النعمان وفيه سر لطيف اذ أصل
النعمان الدم الذي به قوام البدن ومن ثمة ذهب بعضهم الى أنه الروح فابو
حنيفة رحمه الله به قوام الفقه ومنه منشأ مداركه وعويصاته أو نبت أحمر
طيب الريح الشقيق أو الارجوان بضم الهمزة فابو حنيفة رحمه الله طابت
خلاله وبلغ الغاية كماله أو فعلان من النعمة فابو حنيفة نعمة الله على
خلقه وتحذف أل عند التنكير والنداء والاضافة وحذفها لغير ذلك نادر
وقال ابن مالك حذفها واثباتها سيان واعترض وعلى أن كنيته أبو حنيفة
مؤنث حنيف وهو الناسك أو المسلم لان الحنف الميل والمسلم مائل الى الدين
الحق قيل سبب تكنيته بذلك ملازمته الدواة المسماة حنيفة بلغة العراق
وقيل كانت له بنت تسمى بذلك ورد بأنه لا يعلم له ولد ذكر ولا أنثى غير حماد
وأخرج الخطيب وغيره عنه بسند فيه انقطاع لا يكنى بكنيتي بعدي الا مجنون
قالوا فرأينا عدة تكنوا بها وكانت عقولهم ضعيفة وعورضوا بانه كني بها نحو
ثلاثين وكانوا أئمة علماء كالايقاني والدينوري ولم يسبق بهذه الكنية ثم
وجدت لتابعين مجهولين
﴿الفصل الخامس في صورته﴾ قال أبو يوسف رحمه الله كان ربعة من أحسن
الناس صورة وأبلغهم نطقا وأكملهم ايرادا وأحلاهم نغمة وأبينهم حجة على
ما يريد وقال حماد ولده كان طويلا يعلوه سمرة جميلا حسن الوجه مهيوبا
لا يتكلم الا جوابا ولا يخوض فيما لا يعنيه ولا تنافي بين كونه ربعة وبين
كونه طويلا لانه قد يكون مع كونه ربعة أقرب الى الطول كما حررته في شرح
شمائل الترمذي وقال ابن المبارك كان حسن الوجه حسن الثياب
﴿الفصل السادس فيمن أدركه من الصحابة رضي الله عنهم﴾ صح كما قاله

الذهبي انه رأى أنس بن مالك وهو صغير وفي رواية رأيته مرارا وكان يخضب بالحمرة وأكثر المحدثين على أن التابعين من لقي الصحابي وان لم يصحبه وصححه النووي كابن الصلاح وجاء من طرق انه روى عن أنس أحاديث ثلاثة لكن قال أئمة الحديث مدارها على من اتهمه الائمة بوضع الاحاديث وفي فتاوى شيخ الاسلام ابن حجر انه أدرك جماعة من الصحابة كانوا بالكوفة بعد مولده بها سنة ثمانين فهو من طبقة التابعين ولم يثبت ذلك لاحد من أئمة الامصار المعاصرين له كالاوزاعي بالشام والحمادين بالبصرة والثوري بالكوفة ومالك بالمدينة الشريفة والليث بن سعد بمصر انتهى وحينئذ فهو من أعيان التابعين الذين شملهم قوله تعالى والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وذكر جماعة ممن صنف في المناقب وغيرهم انه سمع أيضا من جماعة من الصحابة غير أنس منهم عمرو بن حريث واعترض بان الصحيح انه مات سنة خمس وثمانين والقول بانه عاش الى سنة ثمان وتسعين لم يثبت وأجيب بان الصواب الذي عليه جمهور المحدثين واستقر عليه العمل ان الصغير اذا ميز صح سماعه وان كان ابن خمس سنين ومنهم عبد الله بن أنيس الجهني واعترض بانه مات سنة أربع وخمسين وأجيب بان هذا اسم لخمسة من الصحابة فلعل من روى عنه أبو حنيفة واحد غير الجهني المشهور ورد بان غير هذا لم يدخل الكوفة وأخرج بعضهم بسنده الى أبي حنيفة قال ولدت سنة ثمانين وقدم عبد الله بن أنيس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوفة سنة أربع وتسعين ورأيته وسمعت منه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم واعترض بان هذا السند مجهول وبان الذي دخل الكوفة ابن أنيس الجهني وقد تقرر انه مات قبل ولادة أبي حنيفة بدهر ومنهم عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي بفتح الجيم وسكون الزاي وبالهمزة والزبيدي بضم الزاي مصغرا واعترض بانه مات

سنة ست وثمانين بمصر أي بسقط أبي تراب قرية من الغربية قريب سمنود
والمحلة وكان مقيما بها وأما ما جاء عن أبي حنيفة من أنه سمع أباه سنة ست
وتسعين وأنه رأى عبد الله هذا يدرس بالمسجد الحرام وسمع منه حديثا فرده
جماعة منهم الشيخ قاسم الحنفي من مشايخ مشايخنا بان سنده الثقفيه قلب
وتحريف وفيه كذاب اتفاقا وبان ابن جزء مات بمصر ولأبي حنيفة ست سنين
وبان عبد الله بن جزء لم يدخل الكوفة في تلك المدة ومنهم جابر بن عبد الله
واعترض بانه مات سنة تسع وسبعين قبل ولادة أبي حنيفة بسنة ومن ثمة قالوا
في الحديث المروي عن أبي حنيفة عن جابر انه صلى الله عليه وسلم أمر من لم
يرزق ولدا بكثرة الاستغفار والصدقة ففعل فولد له تسعة ذكور انه حديث
موضوع ومنهم عبد الله بن أبي أوفى وتعقب بانه مات سنة خمس أو سبع وثمانين
وأجيب بما مر في عمرو بن حريث ومن ثمة جاء عن أبي حنيفة انه روى عن عبد
الله هذا الحديث المتواتر من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة أي بفتح الميم بنى
الله له بيتا في الجنة قال بعضهم لعل أبا حنيفة سمعه منه وعمره خمس أو سبع
ومنهم واثلة بكسر المثلثة ابن الاسقع بالقاف روى عنه حديثين لا تظهر
الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك دع ما يريبك الى ما لا يريبك الأول
رواه الترمذي من وجه آخر وحسنه والثاني جاء من رواية جمع من الصحابة
وصححه الأئمة واعترض بانه مات سنة ثلاث أو خمس وثمانين وجوابه ما مر
آنفا ومنهم معقل بن يسار واعترض بانه مات في امارة معاوية رضي الله
عنه ومعاوية مات سنة ستين ومنهم أبو الطفيل عامر بن واثلة ووفاته سنة
ثنتين ومائة بمكة وهو آخر الصحابة موتا ومنهم عائشة بنت عجرد واعترض
بان حاصل كلام الذهبي وشيخ الاسلام ابن حجر ان هذه لا صحبة لها وانها
لا تكاد تعرف وبذلك رد ما روى ان أبا حنيفة روى عنها هذا الحديث
الصحيح أكثر جند الله تعالى في الارض الجراد لا آكله ولا أحرمه ومنهم
سهل بن سعد ووفاته سنة ثمان وثمانين وقيل بعدها ومنهم السائب بن

ثلاد بن سويد ووفاته سنة احدى وتسعين ومنهم السائب بن يزيد بن سعيد ووفاته سنة احدى أو اثنتين أو أربع وتسعين ومنهم عبد الله بن بسرة ووفاته سنة ست وتسعين ومنهم محمود بن الربيع ووفاته سنة تسع وتسعين ومنهم عبد الله بن جعفر واعترض بانه مات سنة ثمانين بارض حمص ومنهم أبو أمامة واعترض بانه مات سنة احدى وثمانين بارض حمص ﴿تنبيه﴾ قال بعض متأخري المحدثين ممن صنف في مناقب الامام أبي حنيفة كتابا حافلا ما حاصله جزم خلائق من أئمة الحديث بانه لم يسمع من أحد من الصحابة شيأ واحتجوا باشياء منها ان أئمة أصحابه الاكابر كابي يوسف ومحمد وابن المبارك وعبد الرزاق وغيرهم لم ينقلوا عنه شيأ من ذلك ولو كان لنقلوه فانه مما يتنافس فيه المحدثون ويعظم افتخارهم به فان كل سند فيه انه سمع من صحابي لا يخلو من كذاب وباشياء أخر قالوا وامارؤيته لانس وادراكه لجماعة من الصحابة بالسن فصحيحان لاشك فيهما وماوقع للعيني انه أثبت سماعه من الصحابة رده عليه صاحبه الشيخ الحافظ قاسم الحنفي والظاهر ان سبب عدم سماعه ممن أدركه من الصحابة انه أول أمره اشتغل بالاكتساب حتى أرشده الشعبي لمارأى من باهر نجابته الى الاشتغال بالعلم ولا يسع من له أدنى المام بعلم الحديث ان يذكر خلاف ماذكرته انتهى حاصل كلام ذلك المحدث وقاعدة المحدثين ان راوي الاتصال مقدم على راوي الارسال والانقطاع لان معه زيادة علم تؤيد ماقاله العيني فاحفظ ذلك فانه مهم

﴿الفصل السابع في ذكر شيوخه﴾ هم كثيرون لا يسع هذا المختصر ذكرهم وقد ذكر منهم الامام أبو حفص الكبير أربعة آلاف شيخ وقال غيره له أربعة آلاف شيخ من التابعين فما بالك بغيرهم منهم الليث بن سعد وكذا مالك ابن أنس امام دار الهجرة على ماذكره الدارقطني وجماعة آخرهم أبو محمد العيني بل قال بعضهم انه رأى في مسند الامام أبي حنيفة التحديث عن مالك وهذان الامامان من جملة الآخذين عنه وعد بعض المترجمين

شايخه مما يطول ذكره فلنا حذفته

﴿الفصل الثامن في ذكر الآخذين عنه الحديث والفقه﴾ قيل استيعابهم متعذر لا يمكن ضبطه ومن ثمة قال بعض الائمة لم يظهر لاحد من أئمة الاسلام المشهورين مثل ما ظهر لابي حنيفة من الاصحاب والتلاميذ ولم ينتفع العلماء وجميع الناس بمثل ما انتفعوا به وباصحابه في تفسير الاحاديث المشتبهة والمسائل المستنبطة والنوازل والقضاء والاحكام جزاهم الله خيرا وقد ذكر منهم بعض متأخري المحدثين في ترجمته نحو الثمانمائة مع ضبط أسمائهم ونسبهم مما يطول ذكره

﴿الفصل التاسع في مبدأ أمره ونشأته وسبب اشتغاله بالعلم﴾ سبق ان الصحيح انه ولد بالكوفة ونشأ بها وانه لم يجد في حال ترعرعه من يرشده الى الاخذ عمن أدركه من الصحابة فاشتغل بالبيع والشراء الى ان قيض الله الامام الشعبي فأيقظه الى النظر في العلم ومجالسة العلماء لما رأى فيه من اليقظة والنجابة فوقع في قلبه قوله فترك السوق وأخذ في العلم فنظر في علم الكلام وبلغ فيه مبلغا يشار اليه فيه بالاصابع وأعطى فيه جدلا لا يخفى عليه زمن به يخاصم وعنه يناضل حتى دخل البصرة لان أكثر الفرق كان بها نيفا وعشرين فرقة يقيم في بعض المرات سنة أو أكثر ينازع أولئك الفرق لانه كان يعد الكلام أرفع العلوم وأفضلها لكونه في أصول الدين ثم ألهم ان الصحابة والتابعين لم يكونوا كذلك مع انهم عليه أقدر وبه أعرف بل نهوا عنه أشد النهي ولم يخوضوا الا في الشرائع وأبواب الفقه وتعليم الناس فكره طرائق الجدل وأكد ذلك عنده وانه كان يجلس بالقرب من حلقة حماد فجاءته امرأة فسألته عن رجل يريد ان يطلق امرأته للسنة كيف يقول فلم يجد جوابا فأمرها ان تسأل حمادا ثم تعلمه بجوابه ففعلت فترك الكلام وجلس في حلقة حماد فكان يحفظ جميع ما يقوله ويخطئ فيه أصحابه فاجلسه بحذائه في صدر الحلقة عشر سنين فنازعته نفسه ان ينفرد عنه ويستقل بحلقة لنفسه

فجلس اليه ليلة عزمه على غسل ذلك فى صبيحتها فخاء حينئذ فى قريب له
لا وارث له غيره فاحتاج السفر لاخذ ماله فاستخلفه فى حلقته فغاب شهرين ثم
قدم وقد سئل عن ستين مسئلة لم يكن سمعها منه فاجاب فيها ثم عرضها عليه
فوافقه فى أربعين وخالفه فى عشرين فآلى على نفسه ان لا يفارقه حتى يموت
وأخرج الخطيب وغيره عنه انه لما أراد الاشتغال بالعلم تصور غايات العلوم
وان غاية الكلام قليلة وصاحبه اذا تكلم واحتيج اليه لا يقدر يتكلم جهارا
ويرمى بكل سوء وغاية علم الادب والنحو والقراءة الجلوس الى الاحداث
لتعليمهم اياها وغاية الشعر المدح والهجو والكذب والحديث يحتاج الى
العمر الطويل ولعل صاحبه يرمى بالكذب وسوء الحفظ فيصير ذلك وصمة فيه
الى يوم القيامة قال ثم فكرت فى الفقه فكلما قلبته وأدرته لم يزدد الا حلاوة ولم
أجد فيه عيبا ورأيت أمر الا يستقيم طلب الدنيا والآخرة الا بمعرفته
فاشتغلت به ﴿تنبيه﴾ احذران تتوهم من ذلك ان أبا حنيفة لم يكن له خبرة
تامة بغير الفقه حاشا لله كان فى العلوم الشرعية من التفسير والحديث
والآلة من العلوم الادبية والمقاييس الحكمية بحرا لا يجارى واماما
لا يمارى وقول بعض أعدائه فيه خلاف ذلك منشؤه الحسد وحبه الترفع على
الاقران ورميهم بالزور والبهتان ويأبى الله الا أن يتم نوره ومما يكذب ذلك
ان له مسائل فقهية بنى أقواله فيها على علم العربية بما انه يقف عليه من تأمله
القضى بتمكنه من هذا العلم بما يبهر العقل وان له من النظم البليغ ما يعجز
عنه كثير من نظرائه وقد انفرد بها بالتأليف الزمخشرى وغيره على ما يأتى
وسيأتى انه صح عنه انه كان يختم فى شهر رمضان ستين ختمة وانه كان يقرأ
القرآن كله فى ركعة فزعم بعض حاسديه انه كان لا يحفظ القرآن بهت منه
وكذب شنيع وقال أبو يوسف ما رأيت أعلم بتفسير الحديث من أبى حنيفة
وكان أبصر بالحديث الصحيح منى وفى جامع الترمذى عنه ما رأيت أكذب
من جابر الجعفى ولا أفضل من عطاء بن أبى رباح وروى البيهقى عنه انه سئل

من الاخذ عن سفيان الثوري فقال اكتب عنه فانه ثقة ما عدا أحاديث أبي اسحق عن جابر الجعفي وروى الخطيب عن سفيان بن عيينة انه قال أول من أقعدني للحديث بالكوفة أبو حنيفة قال لهم هذا أعلم الناس بحديث عمرو بن دينار وبهذا يعلم بطلان قصر تبته في الحديث أيضا كيف وهو سنام في الثوري ومجلس ابن عيينة

﴿الفصل العاشر في ابتداء جلوسه للافتاء والتدريس﴾ لما مات شيخه حماد ابن سليمان وكانت انتهت اليه رياسة الكوفة والناس به أغنياء احتاج الناس لمن يجلس لهم فجلس ابنه واختلف اليه أصحاب أبيه فلم يجدوا عنده ما يغنيهم لان الغالب عليه النحو والكلام فجلس موسى بن كثير فاحتفاه الناس الفقيه الاكابر وان لم يكن فارقا في الفقه فخرج حاجا فاجمع رأيهم على أبي حنيفة فأطاعهم وقال ما أحب ان يموت العلم فاختلفوا اليه فوجدوا عنده من العلم الغزير في كل باب وحسن المواساة والصبر عليهم مالم يجدوه عند غيره فلزموه وتركوا غيره ثم تخرجوا به طبقة بعد طبقة حتى صاروا أئمة في العلم والدين ومن الطبقة الثانية أبو يوسف وزفر وآخرون ثم لم يزل أمره يزداد علوا ويكثر أصحابه حتى صارت حلقته أعظم حلقة في المسجد وانصرفت وجوه الناس اليه وأكرمه الامراء وذكره الخلفاء وحمده الكل وعمل أشياء أعجزت غيره ومع ذلك كثرت حساده ومعادوه لان ذلك سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ومما زاد في اقباله على الافتاء والتدريس بعد انقباضه عنهما أنه رأى كانه ينبش قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويجمع عظامه فوضعها على صدره بعد ان استخرجها وفي رواية انه لما استخرجها صار يؤلف بعضها على بعض فافزعه ذلك فزعا شديدا وأقلقه الى ان عاد اخوانه فارسل الى ابن سيرين فأولها بان صاحبها يفتح للناس من سنن النبي صلى الله عليه وسلم وتأويلها مالم يسبقه أحد اليه فعند ذلك انبسط في المسائل وأتى فيها بما يبهر العقل وفي رواية ان بعض أصحابه لما رآه متوجعا ولم ير بمرض سأله عن حاله فأخبره

رؤيا فقال هنا صاحب لابن سيرين ندعوه لك فقال لا آنا آتيه فأتاه فقصها عليه فقال ان كان ما تقوله حقا لتخلفن في اقامة السنة عالم لم يسبقك اليه أحد ولتدخلن في العلم مدخلا بعيدا وهذا لا ينافي ما قبله لانه لا مانع انها قصت على ابن سيرين وعلى تلميذه فتوافقا على ما ذكره والله أعلم

﴿الفصل الحادي عشر فيما بني عليه مذهبه﴾ اعلم انه يتعين عليك ان لا تفهم من أقوال العلماء عن أبي حنيفة وأصحابه انهم أصحاب الرأي ان مرادهم بذلك تنقيصهم ولا نسبتهم الى انهم يقدمون رأيهم على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا على قول أصحابه لانهم برآء من ذلك فقد جاء عن أبي حنيفة من طرق كثيرة ما ملخصه انه أولا يأخذ بما في القرآن فان لم يجد فبالسنة فان لم يجد فبقول الصحابة فان اختلفوا أخذ بما كان أقرب الى القرآن أو السنة من أقوالهم ولم يخرج عنهم فان لم يجد لاحد منهم قولا لم يأخذ بقول أحد من التابعين بل يجتهد كما اجتهدوا وقال الفضيل بن عياض ان كان في المسئلة حديث صحيح تبعه وان كان عن الصحابة أو التابعين فكذلك والا قاس فأحسن القياس وقال ابن المبارك رواية عنه اذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين واذا جاء عن الصحابة اخترنا ولم نخرج عن أقوالهم واذا جاء عن التابعين زاحمناهم وعنه أيضا عجبا للناس يقولون أفتى بالرأي ما أفتي الا بالاثر وعنه أيضا ليس لاحد ان يقول برأيه مع كتاب الله تعالى ولا مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مع ما أجمع عليه أصحابه وأما ما اختلفوا فيه فنتخير من أقاويلهم أقربه الى كتاب الله تعالى أو الى السنة ونجتهد وما جاوز ذلك فالاجتهاد بالرأي لمن عرف الاختلاف وقاس وعلى هذا كانوا وعن المزني سمعت الشافعي يقول الناس عيال على أبي حنيفة في القياس انتهى ولدقة قياسات مذهبهم كان المزني يكثر من النظر في كلامهم حتى حمل ذلك ابن أخته الامام الطحاوي على انه انتقل من مذهب الشافعي الى مذهب أبي حنيفة كما صرح بذلك الطحاوي

لنفسه وعن الحسن بن صالح ان أباحنيفة كان شديد الفحص عن الناسخ والمنسوخ عارفا بحديث أهل الكوفة شديد الاتباع لما كان الناس عليه حافظا لما وصل الى أهل بلده وسمعه رجل يقايس آخر فى مسئلة فصاح دعوا هذه المقايسة فان أول من قاس ابليس فأقبل اليه أبو حنيفة فقال ياهذا وضعت الكلام فى غير موضعه ابليس رد بقياسه على الله تعالى أمره كما أخبر تعالى عنه فى كتابه فكفر بذلك وقياسنا اتباع لامر الله تعالى لانا نرده الى كتابه وسنة رسوله أو أقوال الائمة من الصحابة والتابعين فنحن ندور حول الاتباع فكيف نساوى ابليس لعنه الله فقال له الرجل غلطت وتبت فنور الله قلبك كما نورت قلبى وعنه انه كان يقول هذا الذى نحن عليه رأى لا نجبر عليه أحدا ولا نقول يجب على أحد قبوله فمن كان عنده أحسن منه فليأت به نقبله وقال ابن حزم جميع أصحاب أبى حنيفة مجمعون على ان مذهبه ان ضعيف الحديث أولى عنده من القياس

﴿الفصل الثانى عشر فى الصفات التى تميز بها على من بعده﴾ وهى كثيرة منها انه رأى جماعة من الصحابة كما مر وقد صح من طرق انه صلى الله عليه وسلم قال طوبى لمن رآنى ولمن رأى من رآنى ولمن رأى من رأى من رآنى ومنها انه وجد فى قرنه صلى الله عليه وسلم الذى صح عنه من طرق كثيرة انه قال خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وفى رواية لمسلم خير الناس القرن الذى أنا فيه ثم الثانى ثم الثالث ومنها انه اجتهد وأفتى فى زمن التابعين بل لما حج الاعمش أرسل اليه ليكتب له المناسك وكان يقول اكتبوا المناسك عنه فانى لا أعلم أحدا أعلم بفرضها ونفلها منه فانظر هذه الشهادة له من مثل الاعمش ومنها روايته أكابر شيوخه وغيرهم عنه كعمرو بن دينار ودخل على الخليفة المنصور فقال له عيسى بن موسى يا أمير المؤمنين هذا عالم الدنيا اليوم فقال له الخليفة عمن أخذت العلم قال عن أصحاب عمر عنه وعن أصحاب على عنه وعن أصحاب ابن مسعود عنه فقال بخ بخ لقد استوثقت لنفسك ماشئت

ومنها

ومنها ما اتفق له من الاصحاب بما لم يتفق لاحد بعده كاعلم بما مر وقال رجل عند وكيع أخطأ أبو حنيفة فزبره وكيع وقال من يقول هذا كالا نعام بل هم أضل سبيلا كيف يخطئ وعنده أئمة الفقه كابي يوسف ومحمد وأئمة الحديث وعددهم وأئمة اللغة والعربية وعددهم وأئمة الزهد والورع كالفضيل وداود الطائي ومن كان أصحابه هؤلاء لم يكن ليخطئ لانه ان أخطأ ردوه للحق ومنها أنه أول من دون علم الفقه ورتبه أبوابا وكتبا على نحو ما هو عليه اليوم وتبعه مالك في موطئه ومن قبله انما كانوا يعتمدون على حفظهم وهو أول من وضع كتاب الفرائض وكتاب الشروط ومنها انتشار مذهبه في أقاليم ليس فيها غيره كالهند والسند والروم وما وراء النهر ومنها انفاقه على نفسه وغيره من العلماء وغيرهم من كسب يده ولم يقبل جائزة مع ما تواتر من كثرة عبادته وزهده وكثرة حجه واعتماره وغير ذلك مما يأتي ومنها أنه مات مظلوما محبوسا مسموما كما يأتي

﴿الفصل الثالث عشر في ثناء الائمة عليه﴾ روى الخطيب عن الشافعي رحمه الله قال قيل لمالك رحمه الله هل رأيت أبا حنيفة رحمه الله قال نعم رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية ان يجعلها ذهبا لقام بحجته وفي رواية أنه سأله عن جماعة فاجابه عنهم قال فابو حنيفة قال سبحان الله لم أر مثله والله لو قال ان الاسطوانة من ذهب لاقام الدليل القياسي على صحة قوله وقال ابن المبارك دخل أبو حنيفة على مالك فرفعه ثم قال بعد خروجه أتدرون من هذا قالوا لا قال هذا أبو حنيفة النعمان لو قال هذه الاسطوانة من ذهب لخرجت كما قال لقد وفق له الفقه حتى ما عليه فيه كثير مؤنة ثم دخل الثوري فاجلسه دون مجلس أبي حنيفة فلما خرج ذكر من فقهه وورعه وقال الشافعي من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة انه ممن وفق له الفقه هذه رواية حرملة عنه وفي رواية الربيع عنه الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة ما رأيت أي علمت أحدا أفقه منه لانه لم يدرك أحدا أفقه منه وجاء عنه أيضا

من لم ينظر في كتبه لم يتبحر في العلم ولا يتفقه وقال ابن عيينة ما رأت عيني مثله وعنه من أراد المغازي فالمدينة أو المناسك فمكة أو الفقه فالكوفة ويلزم أصحاب أبي حنيفة وقال ابن المبارك كان أفقه الناس ما رأيت أفقه منه وقال كان آية فقيل في الخير أو الشر فقال اسكت يا هذا يقال غاية في الشر وآية في الخير وعنه ان احتيج للرأي فرأي مالك وسفيان وأبي حنيفة وهو أفقههم وأحسنهم وأدقهم فطنة وأغوصهم على الفقه وعنه قوله عندنا اذا لم نجد أثرا كالاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنه أنه كان يحدث الناس فقال حدثني النعمان بن ثابت فقيل له من تعني قال أبا حنيفة مخ العلم وامسك بعضهم عن أن يكتب ذلك الاملاء فسكت ابن المبارك هنيهة ثم قال أيها الناس ما أسوأ أدبكم وأجهلكم بالائمة وما أقل معرفتكم بالعلم وأهله ليس أحد أحق أن يقتدى به من أبي حنيفة لانه كان اماما تقيا نقيا ورعا عالما فقيها كشف العلم كشفا لم يكشفه أحد ببصر وفهم وفطنة وتقى ثم حلف أن لا يحدثهم شهرا وقال الثوري لمن قال له جئت من عند أبي حنيفة لقد جئت من أفقه أهل الارض وقال أيضا ان الذي يخالف أبا حنيفة يحتاج الى أن يكون أعلى منه قدرا وأوفر علما وبعيد ما يوجد ذلك ولذا جا كان يقدمه ويمشي خلفه ولا يجيب اذا سئلا حتى يكون أبو حنيفة هو الذي يجيب وقيل له وقد رؤي تحت رأسه كتاب الرهن لابي حنيفة تنظر في كتبه فقال وددت أنها كلها عندي مجتمعة أنظر فيها ما بقي في شرح العلم غاية ولكنا لا ننصفه وقال أبو يوسف رحمه الله الثوري أكثر متابعة لابي حنيفة مني ووصفه يوما لابن المبارك فقال انه لم يركب من العلم أحد من سنان الرمح كان والله شديد الاخذ للعلم ذابا عن المحارم متبعا لاهل بلده لا يستحل أن يأخذ الا ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد المعرفة بناسخ الحديث ومنسوخه وكان يطلب أحاديث الثقات والاخذ من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أدرك عليه علماء أهل الكوفة في اتباع الحق أخذ به وجعله دينه وقد شنع

حالته قوم فسكتنا عنهم بما نستغفر الله تعالى منه وقال الاوزاعى لابن المبارك
من هذا المبتدع الذى خرج بالكوفة يكنى أبا حنيفة فأراه مسائل صعبة
من مسائله فلما رآها منسوبة للنعمان بن ثابت قال من هذا قلت شيخ لقيته
بالعراق قال هذا نبيل من المشايخ اذهب فاستكثر منه قلت هذا أبو حنيفة
الذى نهيت عنه ثم لما اجتمع بأبى حنيفة بمكة جاراه فى تلك المسائل فكشفها
أبو حنيفة له بأكثر مما كتبها ابن المبارك عنه فلما افترقا قال الاوزاعى لابن
المبارك غبطت الرجل بكثرة علمه ووفور عقله واستغفر الله تعالى لقد كنت فى
غلط ظاهر الزم الرجل فانه بخلاف ما بلغنى عنه وقال ابن جريج لما بلغه من علمه
وشدة ورعه وصيانته لدينه وعلمه أحسبه سيكون له فى العلم شأن عجيب
وذكر عنده يوما فقال اسكتوا انه لفقيه انه لفقيه انه لفقيه وقال أحمد بن
حنبل فى حقه انه من أهل الورع والزهد وايثار الآخرة بمحل لا يدركه أحد
ولقد ضرب بالسياط ليلى القضاء للمنصور فلم يفعل فرحمة الله عليه ورضوانه
وقال يزيد بن هرون لمن سأل عن النظر فى كتبه انظروا فيها فانى ما رأيت أحدا
من الفقهاء يكره النظر فى قوله ولقد احتال الثورى فى كتاب الرهن له حتى
نسخه وقال أيضا لما قيل له رأى مالك أحب اليك من رأى أبى حنيفة اكتب
عنه بشمالك فانه كان يتقى الرجال والفقه صناعة أبى حنيفة وصناعة أصحابه
كأنهم خلقوا له وروى الخطيب عن بعض أئمة الزهد أنه قال يجب على أهل
الاسلام أن يدعوا لأبى حنيفة فى صلاتهم لحفظه عليهم السنة والفقه وقال
الناس فيه حاسد وجاهل وهو أحسنهما عندى وقال من أراد أن يخرج من
ذل العمى والجهل ويجد حلاوة الفقه فلينظر فى كتبه وقال مكى بن ابراهيم
كان أبو حنيفة أعلم أهل زمانه وقال يحيى بن سعيد القطان ما سمعنا أحسن
من رأى أبى حنيفة ومن ثمة كان يذهب فى الفتوى الى قوله وقال النضر
ابن شميل كان الناس نياما عن الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة بما فتقه وبينه
ولخصه وقال مسعر بكسر فسكون ففتح ابن كدام بكسر فتخفيف له من

جعل أبا حنيفة بينه وبين الله يرجو أن لا يخاف ولا يكون فرط في الاحتياط لنفسه وقيل لما تركت رأي أصحابه وأخذت برأيه قال لأنه قاتوا باسم منه لا رغب عنه اليه وقال ابن المبارك رأيت مسعرا في حلقة أبي حنيفة يسأله و يستفيد منه وقال ما رأيت أفقه منه وقال عيسى بن يونس لا تصدقن أحدا يسيء القول فيه فاني والله ما رأيت أفضل منه ولا أفقه منه وقال معمر ما رأيت رجلا يحسن ان يتكلم في الفقه ويسعه ان يقيس ويشرح الحديث أحسن معرفة من أبي حنيفة ولا أشفق على نفسه من ان يدخل في دين الله شيأ من الشك من أبي حنيفة وقال الفضيل كان فقيها معروفا بالفقه مشهورا بالورع واسع المال معروفا بالافضال على كل من يطوف به صبورا على تعليم العلم بالليل والنهار قليل الكلام حتى لا يرد مسئلة في الحلال والحرام الا على الحق هاربا من السلطان وقال أبو يوسف اني لادعو له قبل أبوي وسمعته يقول اني لادعو لحماد مع أبوي وقال أبو حنيفة زينه الله تعالى بالفقه والعمل والسخاء والبذل واخلاق القرآن التي كانت فيه وقال كان خلف من مضى وما خلف والله على وجه الارض مثله وسئل الاعمش عن مسئلة فقال انما يحسن جواب هذا النعمان بن ثابت وأظنه بورك له في علمه وقال يحيى ابن آدم ما تقولون في هؤلاء الذين يقعون في أبي حنيفة قال انه جاءهم بما يعقلونه وما لا يعقلونه من العلم فحسدوه وقال وكيع ما رأيت أحدا أفقه منه ولا أحسن صلاة منه وقال الامام الحافظ الناقد يحيى بن معين الفقهاء أربعة أبو حنيفة وسفيان ومالك والاوزاعي وعنه القراءة عندي قراءة حمزة والفقه فقه أبي حنيفة على هذا أدركت الناس وسئل هل حدث سفيان عنه قال نعم كان ثقة صدوقا في الفقه والحديث مأمونا على دين الله وقال ابن المبارك رأيت الحسن بن عمارة آخذا بركابه قائلا والله ما رأيت أحدا يتكلم في الفقه أبلغ ولا أصبر ولا أحضر جوابا منك وانك لسيد من تكلم في الفقه في وقتك غير مدافع وما يتكلمون فيك الا حسدا وقال شعبة كان والله حسن الفهم

بجيد الحفاظ حتى شنعوا عليه بما هو أعلم به منهم وانه سيلقون عند الله وكان كثير الترحم عليه وسئل يحيى بن معين عنه فقال ثقة ما سمعت أحدا ضعفه هذا شعبة يكتب اليه ان يحدث ويأمره ويسبقه ووصفه أبو أيوب السختياني بالصلاح والفقه وروى عنه ابن عوف بانه يقول القول ثم يرجع عنه في غد فقال هذا دليل ورعه فانه يرجع من خطأ الى صوابه ولولا ذلك لنصر خطأه ودافع عنه وقال حماد بن زيد كنا نأتي عمرو بن دينار فاذا جاء أبو حنيفة أقبل عليه وتركنا نسأل أبا حنيفة فنسأله فيحدثنا وقال الحافظ عبد العزيز بن أبي رواد من أحب أبا حنيفة فهو سني ومن أبغضه فهو مبتدع وفي رواية بيننا وبين الناس أبو حنيفة فمن أحبه وتولاه علمنا أنه من أهل السنة ومن أبغضه علمنا أنه من أهل البدعة وقال خارجة بن مصعب أبو حنيفة في الفقهاء كقطب الرحى وكالجهبذ الذي ينقد الذهب وقال الحافظ محمد بن ميمون لم يكن في زمن أبي حنيفة أعلم ولا أورع ولا أزهد ولا أعرف ولا أفقه منه تالله ما سرني بسماعي منه مائة ألف دينار وقال ابراهيم بن معاوية الضرير من تمام السنة حب أبي حنيفة وقال كان يصف العدل ويقول به وبين الناس سبيل العلم وأوضح لهم مشكلاته وقال أسد بن حكيم لا يقع فيه الا جاهل أو مبتدع وقال أبو سليمان كان أبو حنيفة عجبا من العجب وانما رغب عن كلامه من لم يقو عليه وقال أبو عاصم هو والله عندي أفقه من ابن جريج ما رأت عيني رجلا أشد اقتدارا على الفقه منه وذكر عند داود الطائي فقال ذاك نجم يهتدى به الساري وعلم تقبله قلوب المؤمنين وقال شريك القاضي كان أبو حنيفة طويل الصمت كثير التفكر دقيق النظر في الفقه لطيف الاستخراج في العلم والعمل والبحث ان كان الطالب فقيرا أغناه واذا تعلم قال له وصلت الى الغنى الاكبر بمعرفة الحلال والحرام وقال خلف بن أيوب صار العلم من الله تعالى الى محمد صلى الله عليه وسلم ثم منه الى أصحابه ثم منهم الى التابعين ثم صار الى أبي حنيفة وأصحابه فمن شاء فليرض ومن شاء

فليحفظ وقيل لبعض الائمة مالك تخص أباحنيفة عند ذكره بمدح دون غيره قال لان منزلته ليست كمنزلة غيره فيما تنفع الناس بعلمه فاخصه عند ذكره ليرغب الناس بالدعاء له والآثار في النقل عن الائمة غير ما ذكر كثيرة وفي بعض ما ذكرناه مقنع للمنصف المذعن الذي يعرف الحق لاهله ومن ثمة قال الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر بعد كلام ذكره وأهل الفقه لا يلتفتون الى من طعن عليه ولا يصدقون بشئ من السوء ينسب اليه

﴿الفصل الرابع عشر في شدة اجتهاده في العبادة﴾ قال الذهبي قد تواتر قيامه الليل وتهجده وتعبده ومن ثمة كان يسمى الوتد من كثرة قيامه الليل بل احياه بقراءة القرآن في ركعة ثلاثين سنة وحفظ عنه انه صلى صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة فكان عامة الليل يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة يسمع بكاؤه بالليل حتى يرحمه جيرانه وحفظ عنه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة ووقع رجل فيه عند ابن المبارك فقال ويحك أتقع في رجل صلى خمسا وأربعين سنة خمس صلوات على وضوء واحد وكان يختم القرآن في ركعة وتعلمت ما عندي من الفقه منه وقال أبو مطيع ما دخلت الطواف في ساعة من الليل الا رأيت أباحنيفة وسفيان فيه ولما غسله الحسن بن عمارة قال رحمك الله وغفر لك لم تفطر منذ ثلاثين سنة وقد أتعبت من بعدك وفضحت القراء وسبب احيائه الليل أنه سمع رجلا يقول لآخر هذا أبو حنيفة الذي لا ينام فقال لا بي يوسف سبحان الله ألا ترى الله تعالى نشر لنا هذا الذكر أوليس بقبيح ان يعلم الله تعالى منا ضد ذلك والله لا يتحدث الناس عني بما لم أفعل فكان يحيي الليل صلاة وتضرعا ودعاء وقال أبو يوسف كان يختم كل يوم وليلة ختمة وفي رمضان ويوم العيد اثنين وستين ختمة وكان سخيا بالمال صبورا على تعليم العلم شديد الاحتمال لما يقال فيه بعيد الغضب شهدته يصلي الصبح بوضوء أول الليل عشرين سنة ومن صحبه قبلنا قالوا انه كذلك أربعين سنة وقال مسعر رأيته يصلي الغداة ثم يجلس

الناس في العلم الى أن يصلي الظهر ثم يجلس الى العصر ثم الى قريب المغرب ثم الى العشاء فقلت في نفسي متى يتفرغ هذا العبادة لاتعاهدنه فلما هدأ الناس خرج الى المسجد متطهرا كأنه عروس فانتصب للصلاة الى الفجر ثم دخل ولبس ثيابه وخرج لصلاة الصبح ففعل كما فعل قبل فقلت في نفسي ان الرجل قد ينشط الليلة لاتعاهدنه فلما هدأ الناس خرج وفعل كفعله قبل في ليله ويومه حتى اذا صلى العشاء قلت ان الرجل قد ينشط الليلتين لاتعاهدنه الليلة ففعل كفعله قبل فقلت لالزمنه الى أن أموت أو يموت قال فما رأيته بالنهار مفطرا ولا بالليل نائما وكان يغفو قبل الظهر غفوة خفيفة ومات مسعر في سجود في مسجد أبي حنيفة وقال شريك كنت معه سنة فما رأيته وضع جنبه على الفراش وعن خارجة ختم القرآن في ركعة داخل الكعبة أربعة وعد منهم أبا حنيفة وقال الفضيل بن دكين بضم الدال المهملة رأيت جماعة من التابعين وغيرهم فما رأيت أحسن صلاة من أبي حنيفة ولقد كان قبل الدخول في الصلاة يبكي ويدعو فيقول القائل هو والله يخشى وكنت اذا رأيته رأيته كالشن البالي من العبادة وهو بفتح الشين وتشديد النون القربة الخالقة وردد في قوله تعالى (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) ليلة كاملة في صلاته وقرأ ليلة أخرى حتى وصل (فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم) فما زال يرددها حتى أذن للفجر وقالت أم ولده ما توسد فراشا بليل منذ عرفته وانما كان نومه بين الظهر والعصر بالصيف وأول الليل بمسجده في الشتاء وقال ابن أبي رواد ما رأيت أصبر على الطواف والصلاة والفتيا بمكة منه انما كان كل الليل والنهار في طلب الآخرة والنجاة ولقد شاهدته عشر ليال فما رأيته نام بالليل ولا هدأ ساعة من نهار من طواف وصلاة أو تعليم وذكر بعض أهل المناقب انه لما حج حجة الوداع أعطى السدنة نصف ماله ليمكنوه من الصلاة داخل الكعبة فقرأ نصف القرآن قائما على رجل ثم نصفه الآخر قائما على الاخرى وقال يارب عرفتك حق

معرفتك وما عبدناك حق العبادة فيعلى نقصان الخدمة لكمال المعرفة فنودي من زاوية البيت عرفتنا حق معرفتنا وأخلصت الخدمة فغفرنا لك بل كان على مذهبك الى قيام الساعة ﴿تنبيه﴾ لا ينافي ما نقل عنه انه صح من قوله عرفتك حق معرفتك ما قاله غيره سبحانك ما عرفناك حق معرفتك لان مراد الامام عرفتك حق معرفتك اللائقة بي وانتهى اليه علمي فيه تجوز ومراد غيره أن حقيقة المعرفة اللائقة بالحق لا يمكن أحدا أن يصل اليها وهذا هو الحقيقة كيف وسيد المرسلين والاولين والآخرين يقول لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وفي حديث الشفاعة العظمى في فصل القضاء انه صلى الله عليه وسلم يلهم عند سؤاله فيها محامد لم يكن ألهمها قبل فهذه معارف متجددة وهكذا الى ما لا نهاية له ووقوفه على رجل في الصلاة مكروه عند غيره لصحة الحديث في النهي عنه فنفرض انه يرى كراهته ويجاب عنه بانه انما فعل ذلك مجاهدة لنفسه وليس ببعيد ان يغرض مجاهدة النفس في مثل ذلك عمن لم يحتمل بمشروعه مانع الكراهة وختمه القرآن في ركعة لا ينافي خبر أن من قرأه في أقل من ثلاث لم يتفقه لان محله فيمن لم تخرق له العادة في الحفظ والسهولة واتساع الزمن ومن ثم جاء عن كثير من الصحابة والتابعين انهم كانوا يختمونه في ركعة بل ختمه بعضهم أربع مرات فيما بين المغرب والعشاء وكل ذلك من باب الكرامات فلا يعترض به

﴿الفصل الخامس عشر في خوفه ومراقبته لربه سبحانه وتعالى﴾ قال أسد بن عمرو كان بكاء أبي حنيفة يسمع بالليل حتى يرحمه جيرانه وقال وكيع كان والله عظيم الامانة وكان الله تعالى في قلبه جليلا كبيرا وكان يؤثر رضا ربه تبارك وتعالى على كل شيء ولو أخذته السيوف في الله تعالى لاحتمل رحمه الله ورضي عنه ربه رضا الابرار فلقد كان منهم وقال يحيى بن القطان كنت اذا نظرت اليه عرفت انه يتقي الله عز وجل وقام ليلة بهذه الآية يرددها ويبكي ويتضرع (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) وبلغ في ليلة (ألهاكم

التكاثر) فرددها حتى أصبح وقال يزيد بن الكميت وكان من الأخيار قرأ الإمام (إذا زلزلت الأرض) وأبو حنيفة خلفه فلما فرغ نظرت إليه فإذا هو جالس يتفكر ويتنفس فقمت لئلا يشتغل قلبه وتركت القنديل وزيته قليل ثم جئت وقد طلع الفجر وهو قائم وقد أخذ بلحية نفسه وهو يقول يا من يجزي بمثقال الذرة خير خيرا ويا من يجزي بمثقال الذرة شر شرا أجر النعمان عبدك من النار وما يقرب منها وأدخله في سعة رحمتك قال فأذنت فإذا القنديل يزهو وهو قائم فلما دخلت قال لي تريد أن تأخذ القنديل قلت قد أذنت لصلاة الغداة قال اكتم ما رأيت وركع ركعتي الفجر وجلس حتى أقيمت الصلاة وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل وقال أبو الأحوص لو قيل له إنك تموت إلى ثلاثة أيام ما كان فيه فضل شيء يقدر أن يزيد على عمله الذي كان يعمل وذكر عند عيسى بن يونس فقال فدعا له وقال كان أشد اجتهاده في أن لا يعصى الله تعالى وأن يعظم حرماته وقال لولا الحرج ما أفتيت أخوف ما أخاف أن يدخلني النار ما أنا عليه من الفتوى وقال ما اجترأت على الله تعالى منذ تفقهت وسمع غلامه يسأل الجنة فبكى حتى اختلج صدغاه ومنكباه وأمر بغلق الدكان وقام مغطى الرأس مسرعا ثم قال ما أجرأنا على الله يقول أحدنا أسأل الله الجنة وإنما يسأل ذلك من رضي نفسه أما يريد مثلنا أن يسأل الله العفو وقرأ الإمام يوما في صلاة الصبح (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) فارتعد حتى عرف ذلك منه وكان إذا أشكلت عليه مسألة قال لأصحابه ما هذا إلا لذنب أحدثته فيستغفر الله وربما قام فتوضأ وصلى ركعتين ويستغفر فتفرج له المسألة فيقول استبشرت لأني رجوت أنه تيب علي حتى أدركت المسألة فبلغ ذلك الفضيل فبكى بكاء شديدا ثم قال رحم الله أبا حنيفة إنما كان ذلك لقلة ذنوبه وأما غيره فلا يتنبه لذلك لأن ذنوبه قد استغرقته ووطئ رجل صبي لم يره فقال يا شيخ أما تخاف القصاص يوم القيامة فغشي عليه فلما أفاق قيل له ما أشد ما أخذ بقلبك قول هذا الغلام فقال أخاف أنه لقن وروي هو وابن

المنبر يتساران ويبكيان في المسجد فلما خرج قيل له ما بالكما أكثرتما البكاء قال ذكرنا الزمان وغلبة أهل الباطل على أهل الخير فكثر لذلك بكاؤنا وكان عند صلاته بالليل يسمع وقع دموعه على الحصير كأنه المطر وكان أثر البكاء يرى في عينيه وشاربه فرحمه الله ورضي عنه

﴿الفصل السادس عشر في حفظ لسانه عما لا يعنيه وعن السوء ما أمكنه﴾

قال له بعض مناظريه يا مبتدع يا زنديق فقال غفر الله لك الله يعلم مني خلاف ما قلت واني ما عدلت به أحدا منذ عرفته ولا أرجو الا عفوه ولا أخاف الا عقابه ثم بكى عند ذكر العقاب وسقط مغشيا ثم أفاق فقال له الرجل اجعلني في حل فقال كل من قال في شيأ من أهل الجهل فهو في حل وكل من قال في شيأ مما ليس في من أهل العلم فهو في حرج فان غيبة العلماء تبقى شيأ بعدهم وقال الفضيل بن دكين كان حبو بالا يتكلم الا جوابا ولا يخوض فيما لا يعنيه ولا يستمع اليه وقيل له اتق الله فانتفض وطأطأ رأسه ثم قال يا أخي جزاك الله خيرا ما أحوج الناس كل وقت الى من يذكرهم الله تعالى وقت اعجابهم بما يظهر على ألسنتهم من العلم حتى يريدوا الله تعالى بأعمالهم وأنا أعلم أن الله عز وجل يسألني عن الجواب ولقد حرصت على طلب السلامة وكان اذا دخل عليه داخل وقال كان كيت وكيت وأكثر قال له دع ما أنت فيه ما تقول في كذا وكذا فيقطع عليه كلامه ويقول اياكم وتقبل ما لا يحبه الناس من حديث الناس عفا الله عمن قال فينا مكروها ورحم الله من قال فينا جميلا تفقهوا في دين الله وذروا الناس من حديث الناس وما قد اختاروا لانفسهم فيوجههم الله تعالى اليكم وقيل له أيهما أفضل علقمة أو الاسود فقال والله ما قدري أن أذكرهما الا بالدعاء والاستغفار اجلالا لهما فكيف أفضل بينهما وقال ابن المبارك للثوري ما أبعد أبا حنيفة من الغيبة ما سمعته يغتاب عدوا له قط قال والله هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهب بها وقال شريك كان طويل الصمت كثير العقل والفقه قليل المجادلة للناس

فليل الحادثة لهم وقال ضميرة لم يختلف الناس ان أبا حنيفة كان مستقيم اللسان لم يذكر أحدا بسوء وقيل له الناس يتكلمون فيك ولا تتكلم في أحد قال هو فضل الله يؤتيه من يشاء وقال بكير بن معروف ما رأيت رجلا أحسن سيرة في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من أبي حنيفة

﴿الفصل السابع عشر في كرمه﴾ قال غير واحد انه كان أكرم الناس مجالسة وأكثرهم اكراما ومواساة لأصحابه ولمن جلس اليه ومن ثمة كان يزوج من احتاج وينفق عليه ويرسل الى كل منهم قدر منزلته ورأى على بعض جلسائه ثيابا رثة فأمره أن يجلس حتى يتفرق الناس ثم قال له خذ ما تحت المصلى فتجمل به فاذا هو ألف درهم وقال أبو يوسف كان لا يكاد يسئل حاجة الا قضاها ولما ختم حماد ولده سورة الفاتحة أعطى المعلم خمسمائة درهم وفي رواية ألف درهم فقال ما صنعت حتى أرسل الي هذا فأحضره واعتذر اليه وقال لا تستحقر ما علمت ولدي والله لو كان معنا أكثر من ذلك لدفعناه اليك تعظيما للقرآن وكان يجمع ربح تجارته التي يرسلها الى بغداد من السنة الى السنة فيشتري بها للشيوخ المحدثين حوائجهم من قوت وكسوة ثم يدفع الباقي اليهم فيقول أنفقوا في حوائجكم ولا تحمدوا الا الله تعالى فاني ما أعطيتكم من مالي شيأ ولكن من فضل الله يجريه على يدي وقال وكيع قال لي أبو حنيفة ما ملكت أكثر من أربعة آلاف درهم منذ أربعين سنة الا أخرجته أي الأكثر وانما أمسك الاربعة لقول علي كرم الله وجهه أربعة آلاف فدونه نفقة ولولا أن أخاف أن أحتاج الى هؤلاء ما أمسكت منها درهما واحدا وقال سفيان بن عيينة كان أبو حنيفة كثير الصدقة وكان كل ما يستفيده لا يدع منه شيأ الا أخرجه ولقد وجه الي هدايا استوحشت من كثرتها فشكوت ذلك لبعض أصحابه فقال لو رأيت هدايا بعث بها الى سعيد بن أبي عروبة وما كان يدع أحدا من المحدثين الا بره برا واسعا وقال مسعر كان لا يشتري لنفسه وعياله كسوة أو فاكهة أو غيرهما

الا اشترى قبل ذلك لشيوخ العلماء مثل ذلك وقال أبو يوسف كان يحتمل من يشكره على شيء أعطاه اياه ويقول اشكر الله تعالى فانما هو رزق ساقه الله اليك وكان يعولني وعيالي عشرين سنة واذا قلت له ما رأيت أجود منك يقول كيف لو رأيت حمادا ابو ما رأيت أجمع للخصال المحمودة منه وكانوا يقولون أبو حنيفة زينه الله بالعلم والعمل والسخاء والبذل وأخلاق القرآن التي كانت فيه وقال شقيق كنت معه في طريق فرآه رجل فاختبأ منه وأخذ في طريق آخر فصاح مستخفيا اليه فقال له لم عدلت عن طريقك قال لك علي عشرة آلاف درهم وقد طال علي الوقت وأعسرت فاستحييت منك فقال سبحان الله بلغ بك الامر كل هذا وهبته منك كله وأشهدت على نفسي فلا تتوار واجعلني في حل مما دخل في قلبك مني قال شقيق فعلمت انه زاهد على الحقيقة وقال الفضيل كان أبو حنيفة معروفا بكثرة الافضال وقلة الكلام واكرام العلم وأهله وقال شريك كان يغني من يعلمه وينفق عليه وعلى عياله فاذا تعلم قال له لقد وصلت الى الغنى الاكبر بمعرفة الحلال والحرام وحبس ابراهيم بن عيينة على أكثر من أربعة آلاف درهم فأراد بعض اخوانه أن يجمع له من الناس فلما سار لابي حنيفة أمره برد ما أخذه من الناس وقضى عنه جميع دينه وأهدى اليه شخص شيأ فكافأه باضعافه فقال له لو علمت انك تفعل ذلك ما أهديت لك قال لا تقل هذا فان الفضل للسابق ألم تسمع الى ما حدثني به الهيثم عن أبي صالح يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئونه به فاثنوا عليه فقال له هذا الحديث أحب الي من جميع ما أملك

(الفصل الثامن عشر في زهده وورعه) قال ابن المبارك قدمت الكوفة فسألت عن أزهد أهلها فقالوا أبو حنيفة وأراد شراء جارية فمكث عشر سنين وفي رواية عشرين سنة يختار ويشاور من أي سبي سالم من الشبهة يشتري ما رأيت أحدا أورع منه ما تقدرون أن تقولوا في رجل عرضت

عليه الاموال العظيمة فنبذها وضرب بالسياط فصبر على السراء والضراء ولم يدخل فيما كان غيره يطلبه ويتمناه وقال مكي بن ابراهيم جالست الكوفيين فلم أر فيهم أورع منه وقال الحسن بن صالح كان شديد الورع هائبا للحرام تاركا للكثير من الحلال مخافة الشبهة ما رأيت فقيها أشد منه صيانة لنفسه ولعلمه وكان جهاده كله الى قبره وقال النضر بن محمد ما رأيت أشد ورعا منه وقال يزيد بن هرون كتبت عن ألف شيخ حملت عنهم العلم فما رأيت فيهم أشد ورعا ولا أحفظ لسانا منه وقال الحسن بن زياد والله ما قبل لاحد منهم أى الامراء ونحوهم جائزة ولا هدية وأرسل لشريكه متاعا فيه ثوب معيب ببيعه وبين ما فيه من العيب فباعه ولم يبين نسيانا وجهل المشترى فلما علم أبو حنيفة تصدق بثمن المتاع كله وكان ثلاثين ألف درهم وفاصل شريكه وذكر وكيع انه كان يجعل على نفسه ان حلف بالله صادقا فى عرض كلام تصدق بدرهم فحلف فتصدق به ثم جعل على نفسه ان حلف تصدق بدينار فكان اذا حلف تصدق بدينار وقال حفص صحبته ثلاثين سنة فلم أره أعلن خلاف ما أسر وكان اذا دخلت عليه شبهة فى شئ أخرج من قلبه ذلك ولو بجميع ماله وقال سهل بن مزاحم كان ندخل عليه فلا نرى فى بيته الا البوارى وقيل له تعرض عليك الدنيا ولك عيال فقال الله تعالى للعيال وانما قوتى أنا فى الشهر درهمان فما جمعى لمن يسأل الله تعالى عن الجمع لهم ان أطاعوه وان عصوه فان رزق الله غاد ورائح على الفريقين ثم قرأ وفى السماء رزقكم وما توعدون ودع بعض أصحابه وخلف عنده جاريته فغاب أربعة أشهر فلما قدم قال له كيف وجدتها قال من قرأ القرآن وحفظ على الناس دينهم يحتاج أن يصون نفسه عن الفتنة والله ما رأيتها منذ خرجت الى أن رجعت وسألها عن أخلاقه فقالت ما رأيت ولا سمعت مثله ما رأيته اغتسل فى ليل ولا نهار من جنابة وما رأيته أفطر بالنهار قط وكان يأكل آخر الليل ثم يرقد رقدة خفيفة ثم يخرج الى الصلاة وجاءته امرأة بثوب خز تبيعه له فأعطاه فقال

هو خير من مائة بكم تقولين فزادت مائة مائة حتى قالت أربعمائة قال هو خير من
ذلك قالت تهزأ بي قال هاتي رجلا فجاءت برجل فاشتراه بخمسمائة درهم وقال
لولا الخوف من الله تعالى أن يضيع العلم ما أفتيت أحدا يكون لهم الهنا
وعلي الوزر ولما حبس ببغداد في محنته الآتية أرسل لولده حماد يقول
يا بني ان قوتي في الشهر درهمان فرة للسويق ومرة للخبز وقد حبست فعجله لي
واختلطت غنم الكوفة بغنم منهوبة فسأل كم تعيش الغنم قالوا سبع سنين
فترك أكل لحم الغنم سبع سنين ورأى تلك الايام بعض الجند أكل شاة ورمى
فضلته في نهر الكوفة فسأل عن عمر السمك فقيل له كذا وكذا فامتنع من أكل
السمك تلك المدة وقال بعض أئمة أصحابنا الشافعية الاستاذ أبو القاسم
القشيري في باب التقوى في رسالته التي هي أعظم كتب السادة الصوفية
قدس الله أرواحهم كان أبو حنيفة لا يجلس في ظل شجرة غريمه ويقول كل
قرض جر منفعة فهو ربا ويوافقه قول يزيد بن هرون ما رأيت أورع منه
رأيته جالسا يوما في الشمس عند باب انسان فقلت له يا أبا حنيفة لو تحولت الى
الظل فقال لي على صاحب هذه الدار دراهم ولا أحب ان أجلس في ظل فناء
داره قال يزيد فأي ورع أكثر من هذا وفي رواية أنه سئل لما امتنع من الظل
فقال لي على صاحب هذه الدار شيء فكرهت ان استظل بظل حائطه فيكون
ذلك جر منفعة وما أرى ذلك على الناس واجبا ولكن العالم يحتاج أن يأخذ
لنفسه من علمه بأكثر مما يدعو الخلق اليه والآثار في ورعه كثيرة

﴿الفصل التاسع عشر في أمانته﴾ قال رجل بالشام للحكم بن هشام الثقفي
أخبرني عن أبي حنيفة قال كان أعظم الناس امانة وأراده السلطان أن
يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختار عذابه على عذاب الله تعالى
فقال ما رأيت أحدا يصفه بمثل ما وصفته به قال هو والله كما قلت وقال وكيع
كان أبو حنيفة عظيم الامانة وقال أبو نعيم والفضيل بن دكين كان أبو حنيفة
حسن الديانة عظيم الامانة

(الفصل

﴿الفصل العشرون في وفور عقله﴾ روى الخطيب عن ابن المبارك ما رأيت رجلا أعقل منه ومن هرون الرشيد انه ذكر عنده يوما فترحم عليه وقال كان ينظر بعين عقله ما لا يراه غيره بعين رأسه ومن علي بن عاصم قال لو وزن عقل أبي حنيفة بعقل نصف أهل الارض لرجح بهم ومن محمد بن عبد الله الانصاري كان يتبين عقله في منطقه وفعله ومشيه ومدخله ومخرجه ومن خارجة لقيت ألفا من العلماء فوجدت العاقل منهم ثلاثة أو أربعة فذكره في الثلاثة أو الاربعة ومن يزيد بن هرون أدركت الناس فما رأيت أحدا أعقل ولا أفضل ولا أورع من أبي حنيفة وقال أبو يوسف ما رأيت أحدا أكمل عقلا ولا أتم مروءة من أبي حنيفة وقال يحيى بن معين كان أبو حنيفة أعقل من أن يكذب ما سمعت أحدا يصفه ويذكره بمثل ما كان ابن المبارك يصفه ويذكره به من الخير وذكر حماد ابنه عنه انه احتبى بثوبه في المسجد فسقط في حجره من السقف حية عظيمة فلا والله ما تظلل ولا تحول من مكانه ولا تغير ثم قال لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وأخذها بيده اليسرى فرماها بها عنه وقال الشافعي رحمه الله ما قامت النساء عن رجل أعقل من أبي حنيفة وقال بكر بن حبيش لو جمع عقله وعقل أهل زمنه لرجح عقله على عقولهم

﴿الفصل الحادي والعشرون في فراسته﴾ منها أنه قال لجماعة من أصحابه أمورا استقبلتهم فكان كما قال منهم زفر ومنهم داود الطائي قال له أنت تشتغل بالعبادة ومنهم أبو يوسف قال له أنت تميل الى الدنيا فكان كما قال وقال اذا رأيت الرجل طويل الرأس فاعلم أنه أحمق وقيل له كيف رأيت علماء المدينة قال ان أفلح منهم أحد فالاشقر الازرق يعني مالك بن أنس ولقد بر وصدق في فراسته لان مالكا بلغ من العلم والفلاح ما لم يلحقه أحد من أهل المدينة في عصره وقال اذا رأيت أحدا جيد الحفظ فاستمسك بجمعه واذا رأيت انسانا طويل اللحية فاستمسك بحمقه واذا رأيت طويلا عاقلا فاستمسك به فانه قلما تجد طويلا عاقلا ولما جلس سفيان الثوري ومسعر وأبو حنيفة وشريك الى المنصور

قال لهم أبو حنيفة اخمن فيكم تخمينا أما أنا فأحتال لنفسي وأما سفيان فيهرب
من الطريق وأما مسعر فيجنن نفسه وأما شريك فيقع فلما ساروا في الطريق قال
سفيان أريد أن أتبرز فخرج معه الجندي فصار إلى حائط فجلس خلفه فرأى
سفينة شوك فقال لهم ان هذا الذي خلف الحائط يريد أن يذبحني فقالوا
ادخل السفينة فدخل وغطوه بالشوك فرجع الجندي فلم يره فلما أبطأ ناداه
يا أبا عبد الله فلم يجبه فجاء فلم يره فرجع الى صاحبه فضرب برقبته فلما دخل
الثلاثة على المنصور بادر اليه مسعر فصافحه وقال كيف حالك يا أمير المؤمنين
وكيف جواريك وكيف دوابك وليني يا أمير المؤمنين القضا فقال رجل على
رأسه هذا مجنون قال صدقت اخرجوه فخلى سبيله فدعا أبا حنيفة فجاء فقال
يا أمير المؤمنين أنا النعمان بن ثابت بن مملوك الخزاز وأهل الكوفة
لا يرضون أن يلي عليهم ابن مملوك خزاز قال صدقت فذهب شريك يتكلم
فقال اسكت فما بقي أحد غيرك خذ عهدك فقال يا أمير المؤمنين اني نساء
فقال عليك بمضغ اللبان قال وفي خفة قال نصلح لك الفالوذج تأكله قبل
أن تجلس في مجلس الحكم قال اني أحكم على الصادر والوارد قال احكم ولو على
ولدي قال افعل فكان كما ذكر أبو حنيفة ومر عليه بالمسجد رجل فتفرس فيه
انه غريب في كمه حلاوة ومعلم صبيان فكان كذلك فسئل فقال رأيته ينظر
يمينا وشمالا وكذلك الغريب ورأيت الذباب على كمه ورأيته ينظر للصبيان

﴿الفصل الثاني والعشرون والثالث والعشرون في عظيم ذكائه وأجوبته
المسكتة عن الاسئلة المبهتة﴾ من ذلك ان رجلا ممن يكرهه سأله ما تقول في
رجل لا يرجو الجنة ولا يخاف من النار ولا يخاف الله تعالى ويأكل الميتة
ويصلي بلا ركوع ولا سجود ويشهد بما لا يرى ويبغض الحق ويحب الفتنة
ويفر من الرحمة ويصدق اليهود والنصارى فقال ألك بهذا علم قال لا ولكن
لم أجد شيأ هو أشنع من هذا فسألتك عنه فقال أبو حنيفة لأصحابه ما تقولون
في هذا الرجل قالوا شر هذا الرجل هذه صفة كافر فتبسم وقال هو من أولياء

الله تعالى حقا ثم قال للرجل ان أنا أخبرتك أنه كذلك تكف عني لسانك ومن الحفظة ما ضرك قال نعم قال هو رجل يرجو الجنة ويخاف من النار ولا يخاف الله تعالى أن يجور عليه في عدله وسلطانه ويأكل ميتة السمك ويصلي على الجنازة أو على النبي عليه السلام ويحقق شهادته بما لا يرى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويبغض الحق الذي هو الموت ليطيع الله تعالى والفتنة المال والولد والرحمة المطر ويصدق اليهود في قولهم ليست النصارى على شيء والنصارى في قولهم ليست اليهود على شيء فقام الرجل وقبل رأسه وقال أشهد أنك على الحق ولما مرض أبو يوسف قال أبو حنيفة لئن مات هذا الغلام لم يخلفه أحد على وجه الارض فلما عوفي أعجب بنفسه وعقد له مجلسا في الفقه فانصرفت وجوه الناس اليه فلما بلغ أبا حنيفة ذلك قال لبعض من عنده اذهب الى مجلس يعقوب وقل له ما تقول في قصار دفع اليه رجل ثوبا ليقصره بدرهمين ثم طلب ثوبه فأنكره القصار ثم عاد له وطلبه فدفعه له مقصورا أله أجرة فان قال نعم قل له أخطأت أو لا قل له أخطأت فسار اليه الرجل فسأله فقال نعم له أجرة فقال له أخطأت فنظر ساعة فقال لا فقال أخطأت فقام من ساعته لابي حنيفة فلما رآه قال ما جاء بك الا مسئلة القصار قال أجل قال سبحان الله من قعد يفتي الناس وعقد لنفسه مجلسا يتكلم في دين الله تعالى وهذا قدره لا يحسن أن يجيب في مسئلة من الاجارات فقال علمني قال ان كان قصره بعد ما غصبه فلا أجرة له لانه انما قصره لنفسه أو قبل غصبه فله الاجرة لانه قصر لصاحبه وحضر مع العلماء وليمة رجل زوج ابنتيه من أخوين فخرج الولي وهو يقول أصبنا بمصيبة عظيمة غلطنا فزففت الى كل واحد غير امرأته وأصابها فقال سفيان لا بأس بذلك كما حكم به على كرم الله وجهه في ذلك بعينه كان معاوية وجه اليه فيها فقال أرى أن على كل المهر بما أصاب من المرأة وترجع كل الى زوجها فاستحسن الناس منه ذلك وأبو حنيفة ساكت فقال له مسعر قل فيها قال

سفيان وما عسى أن يقول فيها خلاف هذا فقال أبو حنيفة علي بالغلامين فاحضرا فقال لكل واحد منهما أتحب أن تكون عندك التي زفت اليك فقال نعم قال لكل واحد منهما فامر أتك التي عند أخيك فقال هي فلانة قال قل هي طالق مني ثم زوج كلا التي مسها وامرهم بتجديد عرس آخر فعجب الناس من قتياه بذلك حتى قام مسعر فقبله وقال تلوموني على حبه وسفيان ساكت لا يقول شيأ ﴿تنبيه﴾ ما حكم به سفيان عن علي كرم الله وجهه لا ينافي ما حكم به أبو حنيفة بل كلا الحكمين حق فاما وجه ما حكم به سفيان فهو ان هذا الوطء وطء بشبهة وهو يجب فيه المهر ولا يرفع النكاح وأما وجه ما حكم به أبو حنيفة فهو ان الحكم وان كان كما قاله سفيان لكن ربما ترتبت عليه مفسدة أي مفسدة لان كلا لو رجعت الى زوجها وقد وطئها الآخر واطلع على محاسنها الباطنة تخشى أن يكون نفسه متعلقة بها وانه لا يسلو عنها بل يزداد تعلقه بها اذا أخذت منه وصارت تحت غيره فاقتضت الحكمة الظاهرة التي ألهمها الله لابي حنيفة وأطلعه على ما يخشى وقوعه من الفساد لو بقينا على فتوى سفيان ان يحكم بطلاق كل زوجته التي وطئها غيره وان يتزوج كل من وطئها ولا يحتاج لعدة لان لصاحب عدة وطء الشبهة ان يعقد بالموطوأة فيها ولاجل هذه المصلحة الظاهرة التي لا ينكرها أحد سكت سفيان على فتوى أبي حنيفة واستحسنها الناس منه حتى قبله مسعر لاجلها وكان في جنازة ابن هاشمي سيد فيها وجوه أهل الكوفة وعلماؤهم فبرزت أمه كاشفة رأسها ووجهها وألقت عليه ثوبها من شدة وجدها فخلف زوجها بالطلاق لترجعين وحلفت بعتق ما لها كلها ان لا ترجع حتى يصلي عليه فوقف الناس ولم يتكلم فيها أحد فسأل والده أبا حنيفة فاستعاد منه ومنها حلفهما ثم أمره بالصلاة عليه ثم أمرها بالرجوع فقال له ابن شبرمة عجزت النساء أن يلدن مثلك ما عليك في العلم كلفة وسأله رجل عن فتح خوخة في حائطه فقال افتح ما شئت ولا تطلع على جارك وشكاه الى ابن أبي

ليلى فنعه فعاد الى أبي حنيفة فقال له افتح فيه بابا فنعه ابن أبي ليلى أيضا فعاد الى أبي حنيفة فقال كم قيمة حائطك فقال ثلاثة دنانير قال اهدمه ولك على الثلاثة دنانير فهدمه فرفعه جاره الى ابن أبي ليلى فقال يريد هدم حائطه وتسألني ان أمنعه اذهب فاهدمه وابنه ما شئت وجد اولك فقال له الجار كان فتح الكوة أهون على قال اذا كان يذهب الى من يدله على خطئي فكيف أمنع اذا تبين الخطأ وسأله ابن المبارك عن درهمين لرجل اختلطا بدرهم لآخر ثم ضاع منها اثنان لا يعلم من أيهما فقال الدرهم الباقي لهما أثلاثا قال ابن المبارك فلقيت ابن شبرمة فسألته فقال سألت عنها أحدا قلت أبا حنيفة قال قال لك الدرهم الباقي لهما أثلاثا قلت نعم قال أخطأ العبد ولكن درهم من الدرهمين ضائع بيقين يحيط العلم أنه من الدرهمين والدرهم الآخر منهما جميعا فالباقي بينهما فاستضعفته قال فلقيت أبا حنيفة ولو وزن عقله بعقل نصف أهل الارض لرجحهم فقال لي لقيت ابن شبرمة فقال لك قد أحاط العلم ان أحد الدرهمين ضائع وبقي الدرهم الباقي فهو بينهما قلت نعم قال ان الثلاثة حيث اختلطت وجبت الشركة بينهما فصار لصاحب الدرهم ثلث كل درهم ولصاحب الدرهمين ثلثا كل درهم فأي درهم ذهب بحصتهما ﴿تنبيه﴾ ما قاله أبو حنيفة ظاهر عند من يسلم له ان الاختلاط مع عدم التمييز يقتضى الشركة على الشيوع وما قاله ابن شبرمة له وجه عند من لا يرى الشركة ووجهه ان أحد الدرهمين الضائعين يختص بصاحب الدرهمين يقينا وبقي لكل درهم يحتمل انه الموجود ولا مرجح لاحدهما فقسم الدرهم الباقي بينهما وكان بجواره فتى فأتى مجلسه فشاوره في التزوج من قوم مخصوصين طلبوا منه فوق وسعه فأمره بالتزوج بعد الاستخارة ففعل ثم أبوا أن يصلوها اليه الا بعد وفاء كل المهر فذهب اليه واعلمه بذلك فقال احتل واقترض حتى تدخل بأهلك واقرضه في جملة من أقرضه فلما دخل بها قال له ما عليك ان تظهر الخروج بها الى موضع بعيد ففعل فاشتد على أهلها فجاؤا أبا حنيفة

يشكونه ويستفتونه فافتاهم بان له أن يخرجها الى حيث يشاء قالوا ما يمكننا أن
ندعها تخرج معه قال فارضوه برد ما أخذتموه منه فرضوا منه فقال له انهم رضوا
بان يعطوك ما أخذته من المهر ويبرئوك من الباقي قال أريد فوق ذلك فقال له
أيما أحب اليك هذا او الا أقر رجل بدين فلا يمكنك السفر حتى توفيه فقال
الله الله لا يسمعوا بهذا فلا يعطوني شيأ وجاءته امرأة فقالت مات أخي وخلف
ستمائة دينار واعطاني دينار واحد قال من قسم فريضتكم قالت داود الطائي
قال ليس لك الا هو أليس أخوك خلف بنتين وأما وزوجة واثني عشر أخا
وأختا قالت نعم قال هو كذلك وحضر يوما مجلس ابن أبي ليلى فاقب النصف ثم
في الدخول ليريه امضاه في القضاء والحكم فادعى رجل على آخر أنه قال له يا ابن
الزانية فقال القاضي للمدعى عليه ما تقول فقال له أبو حنيفة كيف تسأله
الجواب وليس هو الخصم وانما الخصم أمه فهل تبعث وكالته منها قال لا قال
فاسأله أحية أمه أم ميتة فسأله فقال ميتة قال البينة فأقامها ثم قال
القاضي المدعى عليه فقال له سل المدعي هل لأمه وارث غيره فسأله قال لا قال
البينة بذلك فأقامها فسأل القاضي المدعى عليه فقال سل المدعي أمه حرة أم
أمة فقال الحرة قال البينة بذلك فأقامها فسأل القاضي المدعى عليه فقال سل
المدعي هل هي مسلمة أم ذمية قال مسلمة قال البينة بذلك فأقامها فقال أبو
حنيفة شأنك الآن ولما نزل قتادة الكوفة قال لا يسألني أحد عن مسئلة عن
الحلال والحرام الا أجبته فقال له أبو حنيفة ما تقول فيمن غاب عن أهله
أعواما فنعي اليها فظنت موته فتزوجت فقدم بعد ولادتها فنفاه الاول وادعاه
الثاني اكل منهما قذفها أم المنكر للولد ثم قال أبو حنيفة ان قال فيها برأيه ليخطئن
وان قال فيها حديثا ليكذبن فقال قتادة أوقعت هذه المسئلة قالوا لا قال فلم
تسألون عما لم يكن فقال أبو حنيفة ان العلماء يستعدون البلاء ويتحرزون منه
قبل نزوله ليعرفوا الدخول فيه والخروج منه فقال قتادة دعوا هذا واسألوني
عن التفسير قال أبو حنيفة من الذي عنده علم الكتاب قال آصف ابن برخيا

كاتب سليمان وكان يعرف الاسم الاعظم قال فهل كان سليمان يعرفه أيضا
قال لا قال أيجوز أن يكون في زمن نبي من هو أعلم منه قال لا والله لا أحدثكم
بشئ من التفسير سلوني عما اختلف فيه العلماء فقال أبو حنيفة أمؤمن أنت
قال أرجو قال ولم قال لقوله تعالى والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين
فقال له هلا قلت كما قال ابراهيم لما قال له أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي
فقام قتادة مغضبا وحلف أن لا يحدثهم وقال رجل لامرأته وقد عملت شيأ فقالت
له يا ابن الزانيين فشكيت الى ابن أبي ليلى فحدها حدين في المسجد قائمة فقال
أبو حنيفة أخطأ من ستة أوجه أقام الحد على مجنونة وفي المسجد وضرب
المرأة قائمة وهي انما تضرب جالسة وأقام عليها حدين والقذف بكلمة واحدة
ولو قذف قوما بكلمة لم يلزمه الا حد واحد وضربها والحق للابوين وهما
غائبان وحد الثاني قبل البرء من الحد الاول فشكاه للامير فمنعه الافتاء ثم
وردت مسائل لعيسى بن موسى فسئل عنها فاجاب بما استحسنه عيسى فاذن له
فجلس في مجلسه وقال له الضحاك ما تقول فيمن يجوز تحكيم الحكمين قال تناظرني قال
نعم قال فان اختلفنا في شئ فمن يكون بيني وبينك قال اجعل أنت من شئت فقال
لبعض أصحاب الضحاك احكم بيننا ثم قال للضحاك أترضى هذا حكما بيني وبينك
قال نعم قال أبو حنيفة فانت قد جوزت الحكمين فانقطع الضحاك وسأله عطاء
عن قوله تعالى وآتيناه أهله ومثلهم معهم فقال رد الله تعالى على أيوب أهله
ومثل أهله وولده فقال يرد الله على نبي ولدا ليس له من صلبه قال ما هجعت فيها
ما قال الله قال رد عليه أهله وولده من صلبه ومثل أجور ولده فقال هذا أحسن
(تنبيه) ما المانع أن المراد أن الله تعالى آتاه عدد أولاده ومثل ذلك العدد
من زوجته التي قال له الله تعالى في حقها (خذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث)
وهذا هو الظاهر من الآية كما لا يخفى وقال له رجل اني حلفت ان لا أكلم
امرأتي أو تكلمني وحلفت ان لا تكلمني أو أكلمها فقال لا حنث عليكما فسمع
سفيان الثوري ذلك فجاء مغضبا وقال تبيح الفروج من أين لك هذا قال لما

شافهته باليمين بعد ما حلف كانت مكلمة له فسقطت يمينه فاذا كلمها فلا حنث
عليه ولا عليها لانها كلمته وكلمها بعد اليمين فسقطت عنهما فقال له سفيان انما
يكشف التمن العلم عن شئ كلنا عنه غافلون وسأله ابن المبارك عمن وقع في
قدر مايعه طائر فمات فقال لاصحابه ماترون فرووا له عن ابن عباس رضي الله
عنهما أنه يهراق المرق ويغسل اللحم ويؤكل فقال هذا ان وقع في حال سكونها
فان وقع في حال غليانها ألقي اللحم فقال له ابن المبارك لم قال لوصول الغوص الى
باطنه بخلاف الاول لانما وصل الى ظاهره فقط فاعجبه ذلك ونسي انسان
ما اودعه فجاء اليه فقال له ليس هذا فقها فاحتال لك ولكن اذهب فصل الليلة
الى الصبح فتذكر فصلى الرجل فذكر دون ربع الليل فجاء فاخبره فقال لقد
علمت ان الشيطان لا يدعك تصلي ليلتك وهلا أتممت ليلتك شكرا لله تعالى
وشكى اليه مودع انكار وديعته وحلف بالله وأكد انه لم يودعه فقال
لا تخبر بجحوده أحدا فارسل أبو حنيفة الى المودع فجاء اليه فلما خلا بالوديع
قال له ان هؤلاء بعثوا يستشيرون في رجل يصلح للقضاء فهل تنشط فتمانع
الرجل قليلا فزاد في ترغيبه ثم قال للمودع اذهب فقل له أحسبك نسيت
أودعتك كذا بعلامة كذا فقال له ذلك فدفع اليه وديعته فرجع الوديع لابي
حنيفة يطلب أن يعينه القضاء فقال له اني أرفع من قدرك ولا أسميك حتى
يحضر ما هو أجل من هذا ودخل اللصوص على رجل فاخذوا ثيابه واستحلفوه
بالطلاق الثلاث أن لا يعلم بهم أحدا فحلف ثم أصبح يرى ثيابه تباع فلا يمكنه ان
يتكلم فسأل أبا حنيفة فقال أحضر لي من أكابر حيك فأمرهم أن يجتمعوا
جميعهم في موضع ويخرجوا واحدا واحدا ويقال له هذا اللص فان لم يكن قال لا
وان كان سكت ففعلوا فسكت فعرف اللص فرد عليه جميع ما أخذ منه وبر
في يمينه لانه لم يخبر بهم أحدا وسئل عن تنحنح المؤذنين عند الاقامة أله أصل
قال هو اعلام منهم بانهم يريدون أن يقيموا وقد روي عن علي كرم الله وجهه
انه كان له مدخل من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل قال فكنت اذا جئت

وهو في الصلاة أذنك بالتنحنح وتزوج رجل بامرأة سرا فأتت وقد حبلت فرفعته
الى ابن أبي ليلى فقال لها هاتي بينة على النكاح فقالت انما تزوجني على ان الله
تعالى الولي والشاهدان الملكان فطردها القاضي فأتت أبا حنيفة وأخبرته
فقال لها ائتي القاضي وقولي له أحضره لأقيم عليه بينة فاذا أحضره قولي له
قل انا كافر بالولي والشاهدين فلم يستطع أن يقول فالتزم وأقر بالنكاح فألزمه
المهر وألحق به الولد ﴿تنبيه﴾ لا يتوهم من ذلك ان النكاح خلا عن الولي
والشهود معا لأنه معتقد بطلانه باجماع من يعتد به وانما الظاهر انه كان سرا
بشاهدين مجهولين فلما لم تقدر المرأة على اثباتهما اتخذت ذلك ثم أخبرها أبو حنيفة
رحمه الله بما يلجئه الى الاقرار ان صدقت وكان ممن يخشى الله فكان الامر كما
ألهم رحمه الله عليه وطلب من ابن شبرمة أن يثبت له وصية له فقبل بينته ثم
قال له استحلف ان شاهديك شهدا بحق قال ليس على يمين كنت غائبا فقال
ضلت مقاييسك ما تقول في أعمى شج فشهد له شاهدان بذلك أعليه يمين مع
شاهديه انهما شهدا له بحق وهو لم يرها فانقطع القاضي وحكم له بالوصية وأنكر
يحيى بن سعيد قاضي الكوفة اجماع أهلها على رأي أبي حنيفة فأرسل اليه
أصحابه يناظرونه منهم زفر وأبو يوسف فقال له ما تقول في عبد بين اثنين
أعتقه أحدهما قال لا يجوز لأنه ضرر وهو منهي عنه قال فان أعتقه الآخر
قال جاز قال ناقضت ان كان عتق الأول لغوا فقد أعتقه الثاني وهو عبد فلم
ينفذ فسكت وانقطع وقال الليث بن سعد كنت أسمع بذكر أبي حنيفة وأتمنى
رؤيته فاني بمكة اذ رأيت الناس مجتمعين على شخص فسمعت انسانا ينادي يا أبا
حنيفة فعلمت انه هو فسأله رجل فقال له انا ذو مال كثير ولي ولد أزوجه وأنفق
عليه المال الكثير فيطلق فيذهب مالي فهل لي من حيلة قال ادخل به سوق
الرقيق واشتر من يعجبه ثم زوجه اياها فان طلقها رجعت مملوكتك وان
أعتقها لم ينفذ عتقه قال الليث فوالله ما أعجبني جوابه كما أعجبني سرعة جوابه
وشك شخص في طلاق زوجته فسأل شريكا فقال طلقها ثم راجعها والثوري

فقال قل ان كنت طلقتها فقد راجعتها وزفر فقال هي امرأتك حتى تتيقن طلاقها وأبا حنيفة فقال اما الثوري فافتاك بالورع وأما زفر فافتاك بعين الفقه واما مثلي فهو كرجل شك لا أدري أصاب ثوبه بول أم لا فقال يغسل ثوبه فاغسله (تنبيه) لا خلاف بين هؤلاء الائمة في المعنى الاجماع على ان من شك في طلاق زوجته لا يلزمه شيء بل هو في نكاحه ظاهرا وانما الخلاف في الاولى فرأى شريك ايقاعه لانه مع الشك غير جازم بالرجعة وتعليقها فيه خلاف والثوري الرجعة مع التعليق ولم ينظر للخلاف فيه واعرض عن ذلك زفر وبين أصل الحكم وهو عدم الوقوع وكان الربيع حاجب المنصور معاديا له فقصد أن يرميه عنده فقال له انه يخالف جدك ابن عباس في قوله ان الاستثناء لا يشترط اتصاله فقال يا أمير المؤمنين ان الربيع يزعم أنه لا بيعة لك في رقاب جندك لانهم يحلفون لك ثم يرجعون لدارهم ويستثنون فتبطل يمينهم فضحك المنصور وقال يا ربيع لا تتعرض لابي حنيفة فلما خرج قال له الربيع أردت قتلي قال لا ولكنك الذي أردت قتلي فخلصتك وخلصت نفسي وقال بعض أعدائه اليوم أقتله عند المنصور ثم سأله بين يديه فقال يا أبا حنيفة ان الرجل منا يدعوه أمير المؤمنين فيأمره بضرب عنق الرجل لا تدري ماهو أيسعه أن يضرب عنقه قال أمير المؤمنين يأمر بالحق أو الباطل قال بالحق قال انفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه ثم قال أبو حنيفة ان هذا أراد أن يوثقني فربطته وسرق طاوس مملوك لجاره فشكى اليه فقال اسكت ثم غدا المسجد فلما اجتمع أهله قال أما يستحي من يسرق طاوس جاره ثم يجيء يصلي وأثر ريشه برأسه فمسح رجل رأسه فقال له يا هذا رد على صاحبك طاوسه فرد وكان الاعمش يغض منه لحدة في خلقه فوقع له ان حلف بطلاق امرأته ان أخبرته بفناء الدقيق أو كتبت به أو أرسلت أو ذكرت لاحد ليذكره أو أومأت في ذلك فتحيرت في ذلك فقيل لها عليك بابي حنيفة فقصت عليه ذلك فقال لها اذا فرغ جراب الدقيق شديه بثوبه وهو نائم فاذا استيقظ

رآه وصلوا قناة الدقيق فصلت فصل قناة وجعل يقول هذا والله من حيل أبي حنيفة كيف خلع وعوض وعوض فصنا في نساءنا يرجون عجزنا ورقة فهمنا وحلف رجل ليقربن امرأته نهارا في رمضان فتحير الناس في المخرج من ذلك فقال يسافر بها ويقربها حينئذ وتنبأ في زمنه رجل قال أمهلوني حتى آتي بعلامة فقال من طلب منه علامة كفر لانه يطلبه وذلك مكذب لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا نبي بعدي وتزوج أخرى على زوجته أم حماد فقالت لابد أن تطلقها ثلاثا والا لا أصاحبك فاحتال وأمر الجديدة ان تدخل له عندها وتسأله أيحل للمرأة أن تهجر زوجها فدخلت وسألته عن ذلك فقالت أم حماد لابد أن تطلق الجديدة فقال كل امرأة لي خارج هذه الدار فهي طالق ثلاثا فرضيت ولم تطلق الجديدة وقال له رافضي من أشد الناس قال اما على قولنا فعلي كرم الله وجهه لانه علم ان الحق لابي بكر فسلمه له وأما على قولكم فأبو بكر لانه أخذه من علي قهرا عليه ولم يمكن عليا ان ينتزعه منه فتحير الرافضي وسئل عمن طلق ثلاثا ان اغتسل اليوم من جنابة ثم طلق ثلاثا ان ترك صلاة من صلوات يومه هذا ثم طلق ثلاثا ان لم يجامع امرأته في هذا اليوم فقال يصلي العصر ثم يجامعها ثم يغتسل بعد الغروب ويصلي المغرب والعشاء أراد بصلوات اليوم الخمس وسئل عمن قال لزوجته وهي على سلم ان صعدت فأنت طالق وان نزلت فأنت طالق ما الحيلة فيها قال يحمل السلم وهي عليه فيوضع بالارض أو تحمل بغير ارادتها فتوضع بالارض وعمن بيد امرأته قدح ماء فقال ان شربتيه أو صببتيه أو وضعتيه أو ناولتيه انسانا فأنت طالق قال تترك فيه ثوبا ينشفه به وحلف رجل أن لا يأكل البيض ثم حلف ليأكلن ما في كم فلان فاذا هو بيض فقال يضعه دجاجة فاذا بقي فرخا شواه وأكله أو طبخه وأكله كله مع المرقة (تنبيه) الحيلة عندنا في ذلك أن يجعله في ناطف ويبرأ به صدق عليه انه أكل ما في كمه ولم يصدق عليه انه أكل بيضا لاستهلاكه وولدت امرأة ولدين ظهرهما

واحد فغلط أحدهما فسأل علماء الكوفة فيه فتاهوا جميعا . وقال أبو حنيفة
يدفن الميت ويوصل بالتراب الى مقطع الاتصال ففعلوا فانفصل الحي [illegible]
وكان يسمى مولى أبي حنيفة . واجتمع في المدينة بمحمد بن الحسين بن علي رضي
الله عنهم فقال له أنت الذي خالفت أحاديث جدي صلى الله عليه وسلم بالقياس
فقال معاذ الله من ذلك اجلس فإن لك حرمة كحرمة جدك عليه أفضل
الصلاة والسلام فجلس وجثى أبو حنيفة بين يديه فقال له الرجل أضعف أم
المرأة فقال المرأة قال كم سهمها قال نصف سهم الرجل قال لو قلت بالقياس
لقلبت الحكم ثم قال الصلاة أفضل أم الصوم قال الصلاة قال لو قلت بالقياس
لأمرت الحائض بقضائها دون قضائه ثم قال البول نجس أم النطفة قال
البول قال لو قلت بالقياس لأوجبت الغسل من البول دون المني معاذ الله أن
أقول على غير الحديث بل أخدم قوله فقام وقبل وجهه . وقدم غريب الكوفة
بزوجة تامة الجمال فعلق بها كوفي وادعى أنها زوجته وصدقته وعجز
زوجها عن اثبات نكاحه ورفعت المسألة الى أبي حنيفة فذهب هو وابن
أبي ليلى وجماعة الى منزل الزوج وأمر نسوة القبيلة خلفه فهرت عليهن كلابه
ثم أمر المرأة أن تدخل فبصبص حولها فقال الامام ظهر الحق فاعترفت
المرأة . ونظير ذلك ما نقل عن علماء مذهبه أنه إذا اختلا بامرأته ومعه كلبه
صحت الخلوة وتأكد الصداق أو كلبها لم يتأكد . وأراد ابن هبيرة خاتما مكتوبا
عليه عطاء بن عبد الله فقال أكره الختم بما كان اسم غيري عليه ولا يمكن
حكه فقال دور رأس الباء يكون عطاء من عند الله فتعجب من سرعة
استخراجه . وقال له أكثر المجيء الينا قال لم أصنع عندك إن قربتني فتنتني
وإن أقصيتني أحزنتني وليس عندي ما أخافك عليه وقال ذلك أيضا لما قال له كل
من المنصور وأمير الكوفة عيسى بن موسى لو أكثرت المجيء الينا . ودخل
الضحاك المروزي الكوفة وأمر بقتل الرجال كلهم فخرج اليه أبو حنيفة
في قميص ورداء فقال له لم أمرت بقتل الرجال قال لأنهم مرتدون قال أكان

أدينهم غير ما هم عليه فلم يزالوا حتى صاروا الى ما هم عليه أم كان هذا دينهم قال
أحد ما قلنا بالانتقال فقال الضلال أشغلنا فأغمدوا سيوفهم ونجا الناس وفي
رواية أن الخوارج لما دخلوا الكوفة ورأيهم تكفير كل من خالفهم قيل لهم
من أبي حنيفة هذا شيخ هؤلاء فاحضروه وقالوا تب من الكفر فقال أنا تائب
من كل كفر فقيل لهم انه قال أنا تائب من كفركم فأخذوه فقال لهم أبعلم قلتم أم
بظن قالوا بظن قال ان بعض الظن اثم والاثم كفر عندكم فتوبوا من الكفر قالوا
تب أنت أيضا من الكفر (تنبيه) وقع لبعض حساد أبي حنيفة الذين
ينتقصونه بما هو بريء منه انه ذكر من مثالبه انه كفر مرتين واستتيب مرتين
وانما وقع له ذلك مع الخوارج فارادوا انتقاصه به وليس بنقص بل هو غاية في
رفعته الظاهرة بما علم من جوابه رحمة الله عليه وأوصى رجل الى آخر
وسلمه كيسا فيه ألف دينار وقال اذا كبر ولدي فأعطه ما تحب فلما كبر أعطاه
الكيس دون ما فيه فشكا الولد لأبي حنيفة وذكر له الخبر فدعا الوصي وقال
أعطه الالف لان الذي تحبه هو الذي أمسكته اذ كل أحد مال بل انما يمسك الذي
يحبه ويعطي الذي لا يحبه وكان بعض المحدثين يقع فيه فوقع في ورطة لم ير من
يخلصه منها غيره وهي أنه قال لزوجته ان سألتني الليلة الطلاق ولم أطلقك
فأنت طالق وقالت ان لم أسألك الليلة الطلاق فعبدي حر فقال لها الامام سليه
الطلاق وقال له قل أنت طالق ان شئت ثم قال اذهبا فلا حنث عليكما وقال له
تب الى الله من الوقيعة فيمن حمل اليك العلم فتاب وكان بعد يدعو له دبر كل
صلاة وحلف شخص بالطلاق من زوجته ان لم تطبخ له قدرا فيها مكوك ملح
لا يظهر له أثر في الطعام المطبوخ فسئل عنها فقال تطبخ بيضه في قدر وتلقي
عليه الملح المحلوف عليه وأكثر منه وأراد جماعة من الدهرية قتله فقال
حتى نبحث في مسئلة ثم شأنكم وما أردتم فقال ما تقولون في سفينة مشحونة
بالاثقال في بحر ذي موج متلاطم بلا ملاح أيجوز هذا قالوا هذا محال قال
أيجوز في العقل مثل وجود هذه الدنيا مع تباين أطرافها واختلاف أحوالها

وأمورها وتغييراً أعمالها وأفعالها من غير صانع حكيم ومدبر عليم فتابوا جميعا وحسنت توبتهم وجاءه رجل له على آخر ألف أنكره وأراد الحلف وليس مع المدعي الا شاهد واحد وعلم أبو حنيفة صدقه فطلب منه أن يجيء بالحاضر عشيرة شاهده ثم أمر الحاضر بالدعوى على المدين بالألف وأمر الشاهد والراغب أن يشهدا له بالالف فحكم القاضي بالالف وهذا الباب طويل وفيما ذكرناه كفاية على ان في بعض مالم نذكره خشية أن يزال ثبوتها أو يجب حذفه

«الفصل الرابع والعشرون في حلمه وصبره» قال يزيد بن هرون ما رأيت أحلم منه كان له فضل ودين وورع وحفظ لسان واقبال على ما يعنيه وقال غيره شتمه رجل وأطال بقوله يا زنديق فقال له غفر الله لك هو يعلم مني خلاف ما تقول وقال عبد الرزاق ما رأيت أحلم منه كنا معه بمسجد الخيف والناس حوله فسأله بصري عن مسئلة فأجابه فاعترضه بأن الحسن خالفه فقال أخطأ الحسن فقال له رجل يا ابن الزانية أنت تقول أخطأ الحسن فصاح الناس وهموا به فسكنهم أبو حنيفة وأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال نعم أخطأ الحسن وأصاب ابن مسعود فيما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول ما جازيت أحدا بسوء قط ولا لعنت أحدا ولا ظلمت مسلما ولا معاهدا ولا غششت أحدا ولا خدعته وقيل له ان الثوري ينال منك ويتكلم فيك فقال غفر الله له ثم مدحه وكان بجواره اسكاف اذا سكر يغني (شعر)

أضاعوني وأي فتى أضاعوا • ليوم كريهة وسداد ثغر

ففقد صوته ليلة فقيل أخذه العسس فركب للأمير فزاد في تعظيمه وأمر باطلاقه واطلاق كل من مسك تلك الليلة وما بعدها فركب راجعا والاسكاف يمشي خلفه فقال يا فتى أضعناك قال لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا ثم تاب وحسنت توبته ولازم مجلسه حتى صار فقيها وقال الوليد بن القاسم كان كريم الطبع عظيم التفقد والمواساة لأصحابه وقال عصام لم يكن لأحد من الخلق كما لأبي حنيفة على أصحابه وكان الذباب اذا وقع على أحد منهم يرى مشقة ذلك

عليه وقيل له عن بعضهم أسقط من سطحه فصاح صيحة سمعها من في المسجد وقام فزعا عليه حافيا ثم بكى وقال لو أمكنني حل ذلك حملته وكان يأتيه شيبا حاوسا حتى برئ وجاءه رجل فقال اني وضعت كتابا على خليلك الى فلان فاعطاني أربعة آلاف درهم فقال أبو حنيفة ان كنتم مستغفرين بهذا فاغفلوه وقال أبو معاذ كان أبو حنيفة مع معرفته بفروع من سفيان وبينهما ما بين الاقران يقربني ويقضي حوائجي وكان سلمان وطاووس واقد جمع الله فيه خصالا آثرة حسنة وشتمه رجل وهو في درسه وأكثر فما التفت اليه ولا قطع كلامه ونهى أصحابه عن معاتبته فلما فرغ وقام تبعه الى باب داره فقام على بابه وقال للرجل هذه داري ان كان بقي معك شئ فاقضه حتى لا يبقى في نفسك شئ فاستحى الرجل وفي قصة أخرى بانه تبعه فلما دخل جعل يسبه ويشتم فلم يجبه أحد فقال أتحدوني كلبا فقيل من داخل الدار نعم وقال أبو يوسف كان يحمل والدته على حمار الى مجلس عمر بن ذر كراهية ان يرد أمرها وقال أبو حنيفة ربما ذهبت بها الى مجلسه وربما أمرتني أن أذهب اليه وأسأله عن مسئلة فآتيه وأذكره له وأقول له ان أمي أمرتني أن أسألك عنه فيقول وأنت تسألني عن هذا فأقول هي أمرتني فيقول قل لي كيف هو حتى أخبرك فاخبره بالجواب ثم يخبرني به فآتيها وأخبرها عنه بما قال وتظير ذلك انها استفتت عن شئ فافتيها فلم تقبله وقالت لا أقبل الا قول زرعة القاص أي الواعظ فجاء بها اليه وقال له ان أمي تستفتيك في كذا فقال أنت أعلم وأفقه فأفتها قال أفتيها بكذا فقال زرعة القول ما قال أبو حنيفة فرضيت وانصرفت وقال الجرجاني سأله بحضرتي شاب فأجابه فقال له أخطأت فقلت لمن حوله سبحان الله الا تعظمون هذا الشيخ فالتفت الي فقال دعهم فاني قد عودتهم ذلك من نفسي وقال ما صليت صلاة منذ مات حماد الا استغفرت له مع والدي وما مددت رجلي نحو داره وان بيني وبينه سبع سكك واني لاستغفر لمن تعلمت منه أو علمني وقال ابن المبارك ما كان أوقر من مجلسه كان حسن السمت

حسن الثوب حسن الوجه وقال زفر كان حمولا صبورا ومر به سفيان بن عيينة وقد ارتفع صوته وصوت أصحابه بالمسجد فقلت يا أبا حنيفة هذا مسجد والصوت لا يرفع فيه فقال دعهم فانهم لا يفقهون الا به وقال الرشيد لابي يوسف صف لي أخلاق أبي حنيفة فقال يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل يقول (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) كان علمي به رحمه الله كان شديد الذب عن محارم الله تعالى ان تؤتى شديد الورع لا ينطق في دين الله بما لا يعلم يحب ان يطاع الله تعالى ولا يعصى مجانبا لاهل الدنيا في زمانهم لا ينافس في عزها طويل الصمت دائم الفكر على علم واسع لم يكن مهذارا ولا ثرثارا ان سئل عن مسئلة وكان عنده فيها علم نطق به وأصاب فيها وان كان غير ذلك قاس على الحق واتبعه صائنا لنفسه ودينه بذولا للعلم والمال مستغنيا بنفسه عن جميع الناس لا يميل الى طمع بعيدا عن الغيبة لا يذكر أحدا الا بخير فقال الرشيد هذه أخلاق الصالحين وقال المعافا الموصلي كان فيه عشر خصال ما كانت واحدة منها في انسان الا صار نبيلا في قومه وساد قبيلته الورع والصدق والعفة ومداراة الناس والمودة الصادقة والاقبال على ما ينفع وطول الصمت والاصابة بالقول ومعونة اللهفان ولو عدوا وقال ابن فضيل كان يجلس ومعه أصحابه كزفر وداود الطائي والقاسم بن معن فيتطارحون مسئلة فيما بينهم فيرتفع فيها أصواتهم ثم يتكلم أبو حنيفة فيسكتون حتى يفرغ فيحفظون ما تكلم به فاذا أحكموا أخذوا في مسئلة أخرى وكان يقول لو كان العوام على هيئة الاعتقاد بهم تبرأت منهم ولا ثم

(الفصل الخامس والعشرون في أكله من كسبه ورده للجوائز) قد تواتر عنه رحمة الله عليه انه كان يتجر في الخز مسعودا ماهرا فيه وله دكان في الكوفة وشركاء يسافرون له في شراء ذلك وبيعه مستغنيا بنفسه لا يميل الى طمع ومن ثمة قال الحسن بن زياد والله ما قبل لاحد منهم أي الخلفاء والامراء جائزة ولا هدية ووصل اليه من المنصور ثلاثون ألف درهم في دفعات فقال له يا أمير

المؤمنين الى بغداد فغر به وعندى ودائع الناس وليس لها عندى موضع فاجعلها فى بيت المال فاجابه فلما مات أمير حسنو ودائع الناس من بيت المال فردها فقال المنصور خدعنا أبو حنيفة وقال مصعب أجازه المنصور بعشرة آلاف درهم فلقيني امرأته ان ردها غضب وان قبلها دخل عليه فى دينه ما يكرهه فشاورنى فقلت هذا مال عظيم فى عينه اذا دعيت لقبضه لم يكن هذا أملى من أمير المؤمنين فدعى لقبضه فقال ذلك فبلغ المنصور فحبس الجائزة فكان يكاد لا يشاورنى فى أمره غيرى وخاصمت المنصور زوجته فى ميله عنها وطلبت العدل ثم رضيت ان يكون أبو حنيفة حكما بينهما فاحضر وجلست خلف الستر فقال له المنصور وكم يحل من النساء قال أربع قال ومن الاماء قال ما شاء قال هل يجوز لاحد ان يقول بخلاف ذلك قال لا قال اسمعى يا هذه ثم قال يا أمير المؤمنين انما أحل الله تعالى ذلك لاهل العدل والا فالواحدة قال تعالى فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة الآية فينبغى لنا أن نتأدب بآداب الله تعالى فنتعظ بمواعظه فسكت المنصور فلما خرج أبو حنيفة اتبعته هدية سنية فردها عليها وقال انما ناضلت عن دين الله لا تقربا لاحد ولا طلبا للدنيا

(الفصل السادس والعشرون فى ملبسه) قال حماد ولده كان حسن الهيئة كثير التعطر يعرف بريح الطيبة قبل أن يرى وقال أبو يوسف كان يتعهد شسعه حتى لم ير منقطع الشسع وقال غيرهما كان يلبس قلنسوة طويلة سوداء قال النضر قال لى وقد أراد الركوب أعطنى كساءك وخذ كسائى ففعلت فلما رجع قال لى أخجلتنى بغلظ كسائك وكان بخمسة دنانير ثم رأيت عليه كساء قومته بثلاثين دينارا وقوم رداءه وقميصه بأربعمائة درهم وكان له لباس جبة قنك وجبة سنجاب وجبة ثعلب يصلى فيها ورداء عليه علم وسبع قلانس احداهن سوداء

(الفصل السابع والعشرون فى شىء من حكمه وآدابه) كان يتمثل كثيرا بقول القائل (شعر)

كفى حزناً ان لا حياة هنيئة • ولا عمل يرضى به الله صالح

وكان يقول من تكلم فى شئ من العلم وتقلده وهو يظن ان الله تعالى لا يسأله عنه كيف أفتيت فى دين الله فقد سهلت عليه نفسه ودينه من طلب الرياسة قبل وقتها عاش فى ذل لا يعرف الفقه وقدره وقدر أهله من كان ثقيل المجالسة رأيت المعاصى ذلة فتركتها مروءة فصارت ديانة من لم يمنعه العلم عن محارم الله تعالى فهو من الخاسرين جمع ألهم صدق العلائق بان لا يأخذ الا قدر حاجة يعين على حفظ الفقه ان لم يكن أولياء الله تعالى فى الدنيا والآخرة العلماء فليس لله ولى وأفتى بعد العصر فى مسائل فأجاب فيها فقيل له أليس كانوا يكرهون الكلام فى مثل هذا الوقت الا بخير فقال أبو حنيفة وأى خير أكثر من ان يقول هذا حلال وهذا حرام نزه الله وحذر الخلق من معاصيه ان الجراب اذا فرغ من الزاد ضاع صاحبه وأتى اليه رجل بكتاب شفاعة ليحدثه فقال يا هذا ا طلب العلم قد أخذ الله الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه لا يكون العالم له خواص ولكن يعلم الناس ويريد الله بتعليمه وقال لبعض الناس لا تسألنى عن أمر الدين وانا ماش أو أحدث الناس أو نائم أو متكئ فان هذه الاماكن لا يجتمع فيها عقل الرجال وسئل عن على ومعاوية وقتلى صفين فقال أخاف ان أقدم على الله تعالى بشئ يسألنى عنه ولو سكت لم أسئل عنه بل عما كلفت به فالاشتغال به أولى وقال لاصحابه ان لم تريدوا بهذا العلم الخير ما وفقتوا وكان يقول عجبت لقوم يقولون بالظن ويعملون به والله تعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم (ولا تقف ما ليس لك به علم) الآية

(تنبيه) يتعين تأويل كلامه هذا رحمة الله عليه على أن تعجبه انما هو ممن يقول بالظن أو يعمل به فى العقائد المطلوب فيها اليقين أو فى الفروع وليس مجتهداً ولا مقلداً لمجتهد بخلاف المجتهد ومقلده لان الفقه من باب الظنون وان قيل الحكم معلوم والظن انما هو فى طريقه ولذا عبر وافى حده بانه العلم بالاحكام الخ وقال من تعلم العلم للدنيا حرم بركته ولم يرسخ فى قلبه ولم ينتفع به

كثيرا أحد ومن تعلمه للدين ورثه فيه ورسخ في قلبه وانتفع المقتبسون منه بعلمه وقال لابراهيم بن أدهم يا ابراهيم انك قد رزقت من العبادة شيئاً صالحا فليكن العلم من بالك فانه رأس العبادة وبه قوام الامور وقال من طلب الحديث ولم يتفقه كان كمن يجمع الادوية ولا يدري منافعها حتى يجيء الطبيب كان المحدث لا يعرف وجه حديثه حتى يجيء الفقيه اذا أردت حاجة من حاجات الدنيا فلا تأكل حتى تقضيها فان الاكل يغير العقل وظاهر انه مراده الاكل الكثير وقال له المنصور لم تغشنا قال لانه ليس عندي ما أخافك عليه وان قربتني فتنتني وان أقصيتني أخزيتني وقال لامير الكوفة كسرة خبز وقعب ماء وفروة وثوب مع السلامة خير من العيش في نعيم يكون بعده ندامة وكان يقول اذا تكلم عنده في الناس اياكم ونقل ما لا يحبه الناس عنا الله عمن قال فينا مكروها ورحم الله من قال فينا جميلا تفقهوا في دين الله تعالى وذروا الناس وما قد اختاروا لانفسهم فيوجههم الله تعالى اليكم وقال من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا بكل شدة فيها من قطع عليك حديثك فلا تعده فانه قليل الحبة في العلم والادب لا تجمع طيبك الدون بوجه نفسك والمال لبغيضك وهو الوارث ما قاتل أحد عليا الا وعلي أهلي بالحق منه ولولا ما شاع من علي فيهم ما علم أحد كيف السيرة في قتال بغاة المسلمين ونظير هذا قول الشافعي رحمه الله أخذت أحكام البغاة وقتالهم من قتال علي لمعاوية رضي الله عنهما وأجاب في مسئلة فقيل له لا يزال هذا المصر أي الكوفة بخير ما أبقاك الله تعالى فيه فقال (شعر)

خلت الديار فسدت غير مسود • ومن العناء تفردي بالسودد

وتقدم ولده حماد ليصلي بالناس فأخذ أبو حنيفة بمجامع ثوبه فأخره وقدم غيره فقال يا أبت تخفضني قال بل أردت ان تفضح نفسك فتعسك اذ لو صليت فقال قائل أعيدوا صلاتكم خلف هذا فسطر في الكتب ويبقى عاره الى يوم القيامة

•(الفصل الثامن والعشرون في محنته لما أرادوا توليته الوظائف الجليلة

كالقضاء وتولي بيت المال فامتنع) • قال الربيع أرسلني لاحضاره يزيد بن عمرو بن هبيرة متولي العراق لمروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فأراده على بيت المال فأبى فضربه أسواطا • وبسط هذه القصة أن ابن هبيرة كان واليا على العراق من بني أمية فظهرت الفتنة بالعراق فجمع فقهاء العراق فولى كلا منهم شيأ من عمله وأرسل الى أبي حنيفة ليكون على خاتمه ولا ينفذ كتاب ولا يخرج شيء من بيت المال الا من تحت يده فامتنع فحلف ان لم يفعل ليضربنه فقال له الفقهاء ننشدك الله ان لا تهلك نفسك فانا اخوانك وكلنا كاره لهذا الامر ولم نجد بدا من قبوله فأبى وقال لو أرادني ان أعد له أبواب المسجد لم أفعل فكيف وهو يريد أن يكتب بضرب عنق رجل مسلم أي مثلا ونحو ذلك لان القتل أعظم الكبائر بعد الشرك وأختم أنا على ذلك الكتاب فوالله لا أدخل في هذا ابدا فحبسه صاحب الشرطة جمعتين لم يضربه ثم ضربه أربعة عشر سوطا • وفي رواية انه ضربه أياما متوالية فجاء الرجل لابن هبيرة فقال ان الرجل ميت فقال قل له تخرجنا من يميننا فسأله فقال لو سألني ان أعد له أبواب المسجد ما فعلت فدعوني أستشير اخواني في ذلك فاعلم ابن هبيرة ذلك فأمر بتخليته فركب دوابه وهرب الى مكة سنة مائة وثلاثين فأقام بها الى ان صارت الخلافة للعباسية فقدم الكوفة زمن المنصور فأكرمه وأجله وأمر له بعشرة آلاف درهم وجارية فأبى قبول ذلك • وروى الخطيب واقعة أخرى مع ابن هبيرة هي انه كلمه في أن يلي الحكومة فأبى عليه فضربه مائة سوط وعشرة أسواط في كل يوم عشرة أسواط وهو على الامتناع فلما رأى ذلك خلى سبيله • وفي رواية انه أمره بولاية القضاء فامتنع فحبسه فقيل له انه حلف ان لا يخرجك حتى تلي ولاية تبره بها يمينه فقال والله ولو سألني ان أعد له أبواب المسجد ما فعلت ولما خلى سبيله قال كان غم والدتي بضربي علي أشد من الضرب • وفي رواية انه أمر بضربه على رأسه فانتفخ رأسه ثم أمر باطلاقه • وذكر انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقول له

أما تخاف الله تعالى فضرب رجلا من أمتي بلا جرم وهدده فان وصل اليه فاضربه واستحله . وكان أحمد بن حنبل لما ضرب في محنته يتذكر حال أبي حنيفة و يترحم عليه . ووقع بهم مع المنصور نحو ذلك وذلك ان ابن أبي ليلى قاضي الكوفة لما مات قال المنصور رحلت الكوفة من حاكم عدل ثم أمر بحمل أبي حنيفة ومسعر والثوري وشريك فحملوا اليه فقال لهم أبو حنيفة أخمن فيكم تخمينا أما أنا فاحتال وأتخلص وأما مسعر فيتجانن وأما سفيان فيهرب وأما شريك فيقع فلما قربوا من بغداد أظهر سفيان انه يريد قضاء الحاجة فجلس الموكل به ينتظره فرأى سفينة فقال للملاح ان لم تخفني ذبحت تأول قوله صلى الله عليه وسلم من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين ودفع الملاح دراهم فلما لم يجده الموكل به هرب أيضا فلما دخلوا على المنصور تقدم اليه مسعر فقال له هات يدك كيف أنت ودوابك وأولادك فقال أخرجوه فانه مجنون وعرض على أبي حنيفة تولية القضاء فأبى عليه فحلف ليفعلن فحلف أبو حنيفة ان لا يفعل فاعاد المنصور فاعاد أبو حنيفة فقال له الربيع الحاجب ألا ترى أمير المؤمنين يحلف فقال هو أقدر على كفارة يمينه مني على كفارة يميني فامر بحبسه ثم دعا به فقال أترغب عما نحن فيه فقال أصلح الله أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين اتق الله ولا تشرك في أمانتك من لا يخاف الله والله ما أنا مأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب فلا أصلح لذلك فقال كذبت أنت تصلح لذلك فقال يا أمير المؤمنين قد حكمت على نفسك ان كنت صادقا فقد أخبرت أمير المؤمنين انى لا أصلح وان كنت كاذبا فكيف يحل ان تولى قاضيا كذابا ومع ذلك فاني رجل مولى ولا يكاد العرب ترضى بان يكون عليهم مولى فامر به الى الحبس وعرض على شريك ذلك فقبله فهجره الثوري فقال أمكنك الهرب فلم تهرب . وما قيل انه تولى عد اللبن أياما ليكفر عن يمينه رده الائمة بان الصحيح انه توفي في السجن من الضرب أو السم كما يأتي

﴿ الفصل التاسع والعشرون في سنده في القراءة ﴾ جاء في عدة طرق انه أخذ

القراءة عن الامام عاصم أحد القراء السبعة ووقع لجماعة من المفسرين وغيرهم انهم نسبوا اليه قراآت شاذة اختار القراءة بها وقد شنع الحفاظ المتأخرين عليهم في ذلك وانهم اغتروا في نقل ذلك عنه على كتاب لشخص اسمه محمد بن جعفر الخزاعي ألفه في قراآت أبي حنيفة وقد صرح جماعة منهم الدارقطني بان ذلك الكتاب موضوع لا أصل له وأبو حنيفة برئ من ذلك انه أعقل وأدين من ان يعدل عن القراآت المتواترة الى قراآت شاذة ولا وجه لكثير منها •

(الفصل الثلاثون في سنده في الحديث) مر انه أخذ عن أربعة آلاف شيخ من أئمة التابعين وغيرهم ومن ثمة ذكره الذهبي وغيره في طبقات الحفاظ من المحدثين ومن زعم قلة اعتنائه بالحديث فهو اما لتساهله أو حسده اذ كيف يتأتى لمن هو كذلك استنباط مثل ما استنبطه من المسائل التي لا تحصى كثرة مع انه أول من استنبط من الادلة على الوجه المخصوص المعروف في كتب أصحابه رحمة الله عليهم ولاجل اشتغاله بهذا الاهم لم يظهر حديثه في الخارج كما ان أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لما اشتغلا بمصالح المسلمين العامة لم يظهر عنهما من رواية الاحاديث مثل ما ظهر عمن دونهما حتى صغار الصحابة رضوان الله عليهم وكذلك مالك والشافعي لم يظهر عنهما مثل ما ظهر عمن تفرغ للرواية كابي زرعة وابن معين لاشتغالهما بذلك الاستنباط على ان كثرة الرواية بدون دراية ليس فيه كبير مدح بل عقد له ابن عبد البر بابا في ذمه ثم قال الذي عليه فقهاء جماعة المسلمين وعلمائهم ذم الاكثار من الحديث بدون تفقه ولا تدبر وقال ابن شبرمة أقل الرواية تفقه وقال ابن المبارك ليكن الذي يعتمد عليه الاثر وخذ من الرأي ما يفسر لك الحديث ومن أحوال أبي حنيفة أيضا ما يفيده قوله لا ينبغي للرجل ان يحدث من الحديث الا بما حفظه يوم سمعه الى يوم يحدث به فهو لا يرى الرواية الا لمن حفظه وروى الخطيب عن اسرائيل بن يونس انه قال نعم الرجل النعمان ما كان أحفظه

لكل حديث فيه فقه وأشد فحصا عنه وأعلم بما فيه من الفقه وعن أبي
يوسف ما رأيت أحدا أعلم بتفسير الحديث ومواضع النكت التي فيه من
الفقه من أبي حنيفة وقال أيضا ما خالفته في شيء قط فتدبرته الا رأيت مذهبه
الذي ذهب اليه أنجى في الآخرة وكنت ربما ملت الى الحديث فكان هو
أبصر بالحديث الصحيح مني وقال كان اذا صمم على قول درت على مشايخ
الكوفة هل أجد في تقوية قوله حديثا أو أثرا فربما وجدت الحديثين والثلاثة
فأتيته بها فمنها ما يقول فيه هذا غير صحيح أو غير معروف فأقول له وما علمك
بذلك مع انه يوافق قولك فيقول انا عالم بعلم أهل الكوفة وكان عند الاعمش
فسئل عن مسائل فقال لابي حنيفة ما تقول فيها فأجابه فقال من أين لك هذا
قال من أحاديثك التي رويتها عنك وسرد له عدة أحاديث بطرقها فقال
الاعمش حسبك ما حدثتك به في مائة يوم تحدثني به في ساعة واحدة ما علمت
انك تعمل بهذه الاحاديث يا معشر الفقهاء أنتم الاطباء ونحن الصيادلة
وأنت أيها الرجل أخذت بكلا الطرفين وقد خرج الحفاظ من أحاديثه
مسانيد كثيرة اتصل بنا كثير منها كما هو مذكور في مسندات مشايخنا
وحذفتها لطول الكلام عليها مع انه ليس فيها كثير غرض

(الفصل الحادي والثلاثون في سبب وفاته) من أن المنصور طلبه للقضاء
وان يكون قضاة بلاد الاسلام من تحت أمره فامتنع فحلف وغلظ ان لم يفعل
ليحبسنه وليشددن عليه فامتنع فحبسه وكان يرسل له ان أجبت الخلاص
فاقبل فيمتنع ولما اشتد الامتناع أمر ان يخرج كل يوم فيضرب عشرة أسواط
وينادى عليه في الاسواق فأخرج وضرب ضربا موجعا حتى سال الدم على
عقبيه ونودي عليه وهو كذلك في الاسواق ثم أعيد الى الحبس وضيق عليه
تضييقا شديدا حتى في مأكله ومشربه ثم فعل به ذلك الضرب الشديد والنداء
في اليوم الثاني والثالث ثم هكذا الى عشرة أيام فحينئذ بكى وأكثر الدعاء
فتوفي بعد خمسة أيام وروى جماعة انه رفع اليه قدح فيه سم ليشرب فامتنع

وقال انى لا أعلم ما فيه ولا آمن على قتل نفسى فطرح ثم صب فى فيه قهرا
فمات وقيل ان ذلك كان بحضرة المنصور وصح انه لما أحس بالموت سجد
فخرجت نفسه وهو ساجد قيل الامتناع من القضاء لا يوجب للمنصور أن
يقتله هذه القتلة الشنيعة وانما السبب فى ذلك ان بعض أعداء أبى حنيفة دس
الى المنصور ان أبا حنيفة هو الذى أثار عليه ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن
الحسين بن على رضى الله عنهم الخارج عليه بالبصرة فخاف خوفا شديدا ولم
يقر له قرار وانه قواه بمال كثير فخشى المنصور من ميله الى ابراهيم لانه أعنى
أبا حنيفة كان وجيها ذا مال واسع من التجارة فطلبه لبغداد ولم يجسر على
قتله بغير سبب فطلب منه القضاء مع علمه بانه لا يقبله ليتوصل بذلك الى قتله
﴿الفصل الثانى والثلاثون فى تاريخ وفاته﴾ اتفقوا على انه رحمه الله عليه
مات سنة مائة وخمسين عن سبعين سنة والقول الذى انه مات فى مائة سنة
واحدى وخمسين غلط كما صرح به قال كثيرون وكان موته فى رجب وقيل
شعبان وقيل نصف شوال ولم يخلف غير ولده حماد
﴿الفصل الثالث والثلاثون فى تجهيزه﴾ لما توفى رحمه الله عليه أخرج من
مكان حبسه فحمله خمسة أنفس الى أن أتوا به الى مكان غسله فغسله الحسن بن
عمارة قاضى بغداد وصب عليه أبو رجاء عبد الله بن واقد الهروى ولما فرغ
الحسن من غسله قال رحمك الله لم تفطر منذ ثلاثين سنة ولم تتوسد يمينك بالليل
منذ أربعين سنة كنت أفقهنا وأعبدنا وأزهدنا وأجمعنا لخصال الخير وقبرت
اذ قبرت الى خير وسنة وأتعبت من بعدك وما فرغوا من غسله الا وقد اجتمع
من أهل بغداد خلق لا يحصيهم الا الله تعالى كانه نودى لهم بموته وحرز من
صلى عليه فقيل بلغوا خمسين ألفا وقيل أكثر وأعيدت الصلاة عليه ست
مرات آخرها ابنه حماد ولم يقدر على دفنه الى بعد العصر من الزحام ومكث
الناس يصلون على قبره نحو عشرين يوما وأوصى ان يدفن بمقابر الخيزران
بالجانب الشرقى لان أرضها طيبة غير مغصوبة ولما بلغ المنصور ذلك قال

بعده فيلنحيا وميتا ولما بلغ ابن جريج فقيه مكة وشيخ شيخ الشافعي موته استرجع وقال أي علم ذهب ولما بلغ شعبة استرجع وقال طفئ من الكوفة نور العلم أما انهم لا يرون مثله أبدا وبعد مدة طويلة بنى على قبره الملك أبو سعد المستوفي الخوارزمي قبة عظيمة والى جانبها مدرسة

﴿الفصل الرابع والثلاثون فيما سمع من الهواتف بعد موته﴾ جاء عن صدقة المقابري وكان مجاب الدعوة انه لما دفن أبو حنيفة سمع صوتا في الليل ثلاث ليال يقول (شعر)

ذهب الفقه فلا فقه لكم • فاتقوا الله وكونوا خلفا
مات نعمان فمن هذا الذي • يحيي الليل اذا ما سجفا

وقيل ان الجن بكته ليلة مات فكانوا يسمعون الصوت بهذين البيتين ولا يرون صورة الشخص

﴿الفصل الخامس والثلاثون في تأدب الائمة معه في مماته كما هو في حياته وان قبره يزار لقضاء الحوائج﴾ اعلم انه لم يزل العلماء وذوو الحاجات يزورون قبره يتوسلون عنده في قضاء حوائجهم ويرون نجح ذلك منهم الامام الشافعي رحمه الله لما كان ببغداد فانه جاء عنه انه قال اني لاتبرك بأبي حنيفة وأجيء الى قبره فاذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت الى قبره وسألت الله عنده فتقضى سريعا وذكر بعض المتكلمين على منهاج النووي ان الشافعي صلى الصبح عند قبره فلم يقنت فقيل له لم قال تأدبا مع صاحب هذا القبر وذكر ذلك غيره أيضا وزاد انه لم يجهر بالبسملة ولا اشكال في ذلك خلافا لمن ظنه لانه قد يعرض للسنة ما يرجح تركها فعلها لكونه الاتن أهم منها ولا شك ان الاعلام برفعة مقام العلماء أمر مطلوب متأكد وانه عند الاحتياج اليه لرغم أنف حاسد أو تعليم جاهل أفضل من مجرد فعل القنوت والجهر بالبسملة للخلاف فيهما وعدم الخلاف فيه ولان نفعه متعد ونفع ذينك قاصر ولا شك أيضا ان الامام أبا حنيفة كان له حساد كثيرون في حياته وبعد مماته حتى رموه بالعظائم وسعوا في قتله تلك القتلة الشنيعة السابقة ولا شك أيضا

ان البيان بالفعل أظهر منه بالقول لان دلالة الفعل عقلية ودلالة القول
وضعية وهي يتصور فيها التخلف عن مدلولها بخلاف الدلالة الفعلية
اذ الدلالة على كرم زيد بفعله الكرم لا يشبهها الدلالة على كرمه بقوله انى
كريم واذا تمهدت هذه الدواعي اتضح ان فعل الشافعي لذلك أفضل من فعله
القنوت والجهر اظهارا لمزيد التأدب مع هذا الامام ولمزيد شرفه وعلوه وانه
من أئمة المسلمين الذين يقتدى بهم ويجب عليهم توقيرهم وتعظيمهم وانه ممن
يستحى منه ويتأدب معه من ان يفعل بحضرته خلاف قوله بعد وفاته فكيف
في حياته وان الحاسدين له خسروا خسرا ناميا وانهم ممن أضله الله على علم
ولما وقف ابن المبارك على قبره قال رحمك الله مات ابراهيم النخعي وحماد بن
سليمان وتركا خلفا ومت أنت ولم تترك على وجه الارض خلفا ثم بكى بكاء شديدا
وقال الحسن بن عمارة على قبره كنت لنا خلفا ممن مضى وما تركت بعدك
خلفا ان خلفوك في العلم الذي علمته لم يمكنهم أن يخلفوك في الورع الا بتوفيق
﴿الفصل السادس والثلاثون في بعض منامات حسنة رآها ورؤيت له﴾ روى
انه رأى الله تبارك وتعالى تسعا وتسعين مرة فقال في نفسه لئن رأيته تمام
المائة لاسألنه بم تنجو الخلائق من عذابه فرآه تبارك وتعالى فسأله فاجابه
وصح انه رأى كأنه ينبش قبر النبي صلى الله عليه وسلم وان ابن سيرين وتلميذه
أولاها بانه يظهر أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشر علما لم يسبقه
اليه أحد قبله قال هشام فنظر أبو حنيفة وتكلم حينئذ ورأى هذه الرؤيا له
بعض أصحابه أيضا وان الناس ينظرون اليه ولا ينكر عليه أحد منهم ثم
تناول من ذلك التراب قدرا كثيرا فنفخه في الهواء من الجهات الاربع فهالته
فقصها على ابن سيرين فقال ويحك ان هذا الذي رأيت لرجل جليل عظيم
ان كان فقيها أو عالما قلت انه فقيه قال فوالله ليظهرن هذا الرجل من علم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يظهره الناس وليذهبن اسمه شرقا وغربا
وفي جميع تلك النواحي التي ذر ذلك التراب فيها وقال أزهر بن كيسان
رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وخلفه أبو بكر وعمر فقلت لهما أسأل رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم من شئ قال سل ولا ترفع صوتك فسألته عن علم أبي حنيفة لاني كنت زاهدا فيه فقال هذا علم انفع من علم الخضر ورأيت ثلاث نجوم سقطت من السماء مترتبة فكانت أبا حنيفة ثم مسعرا ثم الثوري فذكر ذلك لمحمد بن مقاتل فبكى وقال العلماء نجوم الارض ورأى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم في المحشر قائما على حوضه وعن يمينه ابراهيم الخليل عليه السلام يضع خده على صدر النبي صلى الله عليه وسلم ثم أبا بكر هكذا حتى عد سبعة عشر شيخا ورأى أمام الحوض بعض جيرانه وبين يديه اناء فسأله أن يناوله ليشرب فقال حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فأذن له فاعطاه كأسا فشرب بوسي أصحابه كلهم فلم ينقص منه قدر أنملة وكان ذلك الماء أبيض من اللبن وأبرد من الثلج وأحلى من العسل ورأى بعض الابدال محمد ابن الحسن فقال له ما فعل الله بك قال قال اني لم أجعل جوفك وعاء العلم وأريد أن أعذبك فقلت له ما فعل بابي يوسف قال فوق فقلت فما فعل بابي حنيفة قال في أعلى عليين وفي رواية فوق أبي يوسف بطبقات ورؤي بعض الصالحين فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي وباهى بي وبابي حنيفة النعمان بن ثابت الملائكة وغيرهم وهو في أعلى عليين وقام شخص لمقاتل بن سليمان في حلقته فقال رأيت كأن رجلا نزل من السماء وعليه ثياب بيض فقام على أطول منارة ببغداد ونادى ماذا افتقد الناس فقال مقاتل لئن صدقت رؤياك ليفقدن أعلم أهل الدنيا فلم يمت الا أبو حنيفة فاسترجع مقاتل ثم قال مات من كان يفرج عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم وعن أبي معاذ الفضل بن خالد قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ما تقول في علم أبي حنيفة فقال ذلك علم يحتاج الناس اليه وعن مسدد بن عبد الرحمن البصري أنه نام بمكة بين الركن والمقام قبيل الفجر فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما تقول في هذا الرجل الذي بالكوفة النعمان بن ثابت آخذ من علمه فقال صلى الله عليه وسلم خذ من علمه واعمل بعلمه فنعم الرجل هو قال فقمت وكنت أكره الناس للنعمان وأنا أستغفر الله مما كان مني ورأى

بعض أئمة الحنابلة النبي صلى الله عليه وسلم قال فقلت له يا رسول الله حدثني
من المذاهب فقال المذاهب ثلاثة ثم فرق نفسي انه يخرج مذهب أبي حنيفة
لتمسكه بالرأي فابتدأ وقال أبو حنيفة والشافعي وأحمد ثم قال ومالك أربعة
أربعة فقلت أيها خير فغالب ظني انه قال مذهب أحمد ﴿ تنبيه ﴾ زعم بعض
حاسديه انه روي له منامات بضد ذلك منها ان الزبير بن أحمد رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأبا حنيفة على يساره فالتفت وقال له فان يكفر بها هؤلاء
فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين والشافعي عن يمينه فالتفت وقال له أولئك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده وليس هذا المنام صحيح لان الامام الحافظ
الديلمي صاحب الفردوس شافعي ومع ذلك روى عن المظفر بن الاستاذ
الحافظ أبي جعفر القايني انه رأى مناما طويلا مشتملا على أشياء سألها عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم منها اختلاف الائمة فقال صلى الله عليه وسلم
كل في اجتهاده مصيب فقال يا رسول الله أبو حنيفة يقول المجتهدان مصيبان
والحق في واحد والشافعي يقول المجتهدان مصيب ومخطئ معفو عنه فقال صلى
الله عليه وسلم هما قريبان في المعنى وان كانا مختلفين في اللفظ فقلت يا رسول
الله فايهما أولى بالاخذ فقال كلاهما على الحق قلت فما معنى قول الزبير بن أحمد
وذكر ما مر عنه فقال صلى الله عليه وسلم لا أحفظه ولو قلت لقلت لكليهما
أولئك على هدى من ربهم قلت الحمد لله الذي جعل في الامر سعة وأرجو أن
يكون اختلافهم رحمة ومنها منام آخر نحو ذلك حذفته لشناعته ويكفي في رده
ما مر له من المنامات على انها كثيرة فاعا اقتصرت منها على غررها اختصارا
﴿ الفصل السابع والثلاثون في الرد على من قدح في أبي حنيفة بتقديمه
القياس على السنة ﴾ قال الحافظ ابن عبد البر ما حاصله أفرط أصحاب الحديث
في ذم أبي حنيفة وتجاوزوا الحد في ذلك لتقديمه القياس على الاثر وأكثر أهل
العلم يقولون اذا صح الحديث بطل الرأي والقياس لكنه لم يرد الا بعض أخبار
الآحاد بتأويل محتمل وكثير منه قد تقدمه اليه غيره وتابعه عليه مثله
وجل ما وجد له من ذلك تبع فيه أهل علم بلده كابراهيم النخعي وأصحاب ابن

مسعود الا أنه أكثر من ذلك هو وأصحابه وغيره اغا يوجد له ذلك قليلا ومن ثمة لما
قيل لاحمد بن حنبل ما الذي نقمتم عليه قال الرأى قيل أليس مالك تكلم بالرأى
قال بلى ولكن أبو حنيفة أكثر رأيا منه قيل فهلا تكلمتم في هذا بحصته وهذا
بحصته فسكت أحمد قال الليث بن سعد أحصيت على مالك سبعين مسئلة قال
فيها برأيه وكلها مخالفة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كتبت اليه
أعظه في ذلك ولم نجد أحدا من علماء الأمة أثبت حديثا عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم رده الا بحجة كادعاء نسخ بأثر مثله أو باجماع أو بعمل يجب
على أصله الانقياد اليه أو طعن في سنده ولو رده أحد من غير حجة لسقطت
عدالته فضلا عن امامته ولزمه اسم الفسق ولقد عافاهم الله من ذلك وقد
جاء عن الصحابة رضي الله عنهم من اجتهاد الرأى والقول بالقياس على
الاصول ما يطول ذكره وكذلك التابعون وعد منهم خلقا كثيرين انتهى
كلام ابن عبد البر وفيه جواب شاف عن ذلك القدح فتدبره والحاصل أن
أبا حنيفة لم ينفرد بالقول بالقياس بل على ذلك عمل فقهاء الامصار كما قاله ابن
عبد البر وبسط الكلام عليه ردا على من جهل فجعل ذلك عيبا (تنبيه) قد عد
جماعة الامام أبا حنيفة رحمه الله من المرجئة وليس هذا الكلام على حقيقته
أما أولا فقال شارح المواقف كان غسان المرجئ يحكى ماذهب اليه من
الارجاء عن أبي حنيفة ويعده من المرجئة وهو افتراء عليه قصد به غسان ترويج
مذهبه بنسبته الى هذا الامام الجليل الشهير وأما ثانيا فقد قال الآمدى لعل
عد من عده من مرجئة أهل السنة أن المعتزلة كانوا في الصدر الاول
يلقبون من خالفهم في القدر مرجئا أو لانه لما قال الايمان لا يزيد ولا ينقص
ظن به الارجاء بتأخير العمل عن الايمان وليس كذلك اذ عرف منه المبالغة في
العمل والاجتهاد فيه وأما ثالثا فقد قال ابن عبد البر كان أبو حنيفة يحسد
وينسب اليه ما ليس فيه ويختلق عليه ما لا يليق به وقد أقبل عليه وكيع
فرآه مطرقا مفكرا فقال له من أين فقال من عند شريك فتنفس ثم أنشأ يقول (شعر)

ان يحسدونى فانى غير لائمهم ۞ قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم ما بى وما بهم ۞ ومات أكثرنا غيظا بما يجد
قال وكيع وأظنه كان بلغه عن شئ منه شئ

﴿الفصل الثامن والثلاثون فى رد ما قيل فيه من الجرح﴾ قال أبو عمر يوسف ابن عبد البر والذين رووا عن أبى حنيفة ووثقوه وأثنوا عليه أكثر من الذين تكلموا فيه والذين تكلموا فيه من أهل الحديث أكثر ما عابوا عليه الاغراق فى الرأى والقياس وقد مر ان ذلك ليس بعيب وكان يقال يستدل على نباهة الرجل من الماضين بتباين الناس فيه ألا ترى أن عليا كرم الله وجهه هلك فيه فتيان محب أفرط ومبغض فرط قال الامام على بن المدينى أبو حنيفة روى عنه الثورى وابن المبارك وحماد بن زيد وهشام ووكيع وعباد ابن العوام وجعفر بن عون وهو ثقة لا بأس به وكان شعبة حسن الرأى فيه وقال يحيى بن معين أصحابنا يفرطون فى أبى حنيفة وأصحابه فقيل له أكان يكذب قال أنبل من ذلك وفى طبقات شيخ الاسلام التاج السبكى الحذر كل الحذر ان تفهم من قاعدتهم ان الجرح مقدم على التعديل على اطلاقها بل الصواب أن من ثبتت امامته وعدالته وكثر مادحوه ومزكوه وندر جارحه وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبى أو غيره لم يلتفت الى جرحه ثم قال بعد كلام طويل قد عرفناك أن الجارح لا يقبل منه الجرح وان فسره فى حق من غلبت طاعاته على معصيته ومادحوه على ذاميه ومزكوه على جارحيه اذا كانت هناك قرينة يشهد العقل بان مثلها حامل على الوقيعة فيه من تعصب مذهبى أو منافسة دنيوية كما يكون بين النظراء أو غير ذلك وحينئذ فلا يلتفت لكلام الثورى وغيره فى أبى حنيفة وابن أبى ذئب وغيره فى مالك وابن معين فى الشافعى والنسائى فى أحمد بن صالح ونحو ذلك قال ولو أطلقنا تقديم الجرح لما سلم لنا أحد من الائمة اذ ما من امام الا وقد طعن فيه طاعنون وهلك فيه هالكون قال ابن عبد البر هذا باب غلط فيه كثيرون وضلت فيه فرقة جاهلية لا تدرى ما عليها فى ذلك ثم قال الدليل

على

على أنه لا يقبل فى حق من اتخذه جمهور الناس اماما فى الدين قول أحد من الطاعنين لأن السلف قد سبق من بعضهم فى بعض كلام كثير فى حال الغضب ومنه ما حمل على الحسد ومنه ما حمل على التأويل مما لا يلزم المقول فيه شئ منه وذكر من كلام الصحابة والتابعين وتابعيهم من النظراء بعضهم فى بعض شيأ كثيرا لم يلتفت اليه أحد من العلماء ولا عولوا عليه لانهم بشر يغضبون ويرضون والقول فى الرضى غير القول فى الغضب فمن أراد أن يقبل قول العلماء بعضهم فى بعض فليقبل قول من ذكرنا من الصحابة بعضهم فى بعض وقول من ذكرنا من التابعين وأئمة المسلمين بعضهم فى بعض فان فعل ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا وخسر خسرانا مبينا وان لم يفعل ولن يفعل ان هداه الله وألهمه رشده فليقف عند ما شرطناه فانه الحق الذى لا يصح غيره ان شاء الله تعالى ثم ذكر كلام كثير ين من نظراء مالك فيه وكلام ابن معين فى الشافعى قال وما مثل من تكلم فيهما وفى نظرائهما الا كما قال الحسن بن هانئ (شعر)

يا ناطح الجبل العالى لتكلمه • اشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

ولقد أحسن أبو العتاهية حيث قال (شعر)

ومن ذا الذى ينجو من الناس سالما • وللناس قال بالظنون وقيل

وقيل لابن المبارك فلان يتكلم فى أبى حنيفة فانشد (شعر)

حسدوك اذا ما فضلك الله بما فضلت به النجباء

وقيل ذلك لابى عاصم النبيل فقال هو كما قال أبو الاسود الدؤلى (شعر)

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه • فالقوم أعداء له وخصوم

وروى أبو عمرو عن ابن عباس رضى الله عنهما خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم فى بعض فانهم يتغايرون تغاير التيوس فى الزريبة وفى رواية عنه استمعوا كلام العلماء ولا تصدقوا بعضهم فى بعض فوالذى نفسى بيده لهم أشد تغايرا من التيوس فى زروبها وكذلك جاء عن عمرو بن دينار ومن ثم ذكر فى المبسوط فى مذهب مالك أنه لا يجوز شهادة القارئ على القارئ يعنى العلماء لانهم أشد الناس تحاسدا وتباغضا

﴿الفصل التاسع والثلاثون في رد ما نقله الخطيب في تاريخه عن القادحين فيه﴾ اعلم أنا لم نقصد بذلك الاجمع ما قيل في الرجل على عادة المؤرخين ولم نقصد بذلك انتقاصه ولا الحط من مرتبته بدليل انه تقدم كلام المادحين وأكثرهم ومن نقل مآثره السابقة في أكثرها انما اعتمد أهل المناقب فيه على ما في تاريخ الخطيب ثم عقبه بذكر كلام القادحين ليتبين انه من جملة الاكابر الذين لم يسلموا من خوض الحاسدين والطاعنين فيهم ومما يدل على ذلك أيضا أن الأسانيد التي ذكرها القادح لا يخلو غالبها من متكلم فيه أو مجهول ولا يجوز اجماعا ثلم عرض مسلم بمثل ذلك فكيف بامام من أئمة المسلمين قال شيخ الاسلام الامام التقي ابن دقيق العيد أعراض الناس حفرة من حفر النار وقف على شفيرها الحكام والمحدثون ويفرض صحة ما ذكره الخطيب من القدح عن قائله لا يعتد به فانه ان كان من غير أقران الامام فهو مقلد لما قاله أو كتبه أعداؤه أو من أقرانه فكذلك لما مر أن قول الاقران بعضهم في بعض غير مقبول وقد صرح الحافظان الذهبي وابن حجر بذلك قالا ولا سيما اذا لاح انه لعداوة أو لمذهب اذ الحسد لا ينجو منه الا من عصمه الله تعالى قال الذهبي وما علمت عصرا سلم أهله من ذلك الا عصر النبيين والصديقين وقال التاج السبكي ينبغي لك أيها المسترشد أن تسلك سبيل الادب مع الائمة الماضين وان لا تنظر الى كلام بعضهم في بعض الا اذا أتى ببرهان واضح ثم ان قدرت على التأويل وتحسين الظن فدونك والا فاضرب صفحا عما جرى بينهم فانك لم تخلق لهذا فاشتغل بما يعنيك ودع ما لا يعنيك ولا يزال طالب العلم عندي نبيلا حتى يخوض فيما جرى بين السلف الماضين ويقضي لبعضهم على بعض فاياك ثم اياك ان تصغي الى ما اتفق بين أبي حنيفة وسفيان الثوري أو بين مالك وابن أبي ذئب أو بين أحمد بن صالح والنسائي أو بين أحمد والحارث بن أسد المحاسبي وهلم جرا الى زمان العز بن عبد السلام والتقي بن الصلاح فانك اذا اشتغلت بذلك خشيت عليك الهلاك فالقوم أئمة أعلام ولاقوالهم محامل وربما لم نفهم بعضها فليس لنا الا الترضي عنهم والسكوت عما جرى بينهم كما

نقول فيما جرى بين الصحابة رضوان الله عليهم

﴿الفصل الاربعون في رد ما قيل ان ما الحنفية صرائح الاحاديث الصحيحة من غير حجة﴾ هذا باب واسع جدا يستدعي سرد جميع أبواب الفقه فلنشر الى قواعد اجمالية تنفع من استحضرها عند الادلة التفصيلية واعلم ان ممن زعم ذلك من المتقدمين سفيان الثوري وآخرين منهم الحافظ أبو بكر بن أبي شيبة الكوفي شيخ البخاري وسبب صدور ذلك منهم انهم استروحوا ولم يتأملوا قواعده وأصوله اذ منها كما قاله الامام الحافظ أبو عمر بن عبد البر وغيره ان خبر الواحد لا يقبل اذا خالف الاصول المجمع عليها فحينئذ يقدم القياس عليه وقد اعتذر عن تقديمه القياس على خبر الواحد بان ذلك لموجب لا عبثا ولا رد الحديث مع سلامته عن القوادح حاشاه الله تعالى من ذلك بل لموجب أي موجب اما كونه لم يطلع على الحديث أو لم يصح عنده أو كونه رواية غير فقيه وقد خالف القياس ومن ثمة ردوا حديث أبي هريرة في المصراة لكن اتهم جماعة من الحنفية لما عليه أكثر العلماء من أن فقه الراوي ليس شرطا لتقديم الخبر على القياس قالوا وقد عمل أصحابنا بحديث أبي هريرة اذا أكل الصائم أو شرب ناسيا مع مخالفته القياس حتى قال أبو حنيفة رحمه الله لولا الرواية لقلت بالقياس وقد ثبت عن أبي حنيفة انه قال ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين ولم ينقل عن أحد من السلف اشتراط فقه الراوي فثبت ان القول باشتراطه قول محدث قال بعضهم على ان أبا هريرة كان فقيها اذ لم يعدم شيأ من أسباب الاجتهاد وقد كان يفتي في زمن الصحابة وما كان يفتي في ذلك الزمن الا فقيه مجتهد ونبه على ذلك الحيوى القرشي في طبقات الحنفية فقال انه من فقهاء الصحابة كما ذكره ابن حزم وقد جمع شيخنا شيخ الاسلام التقي السبكي فتاويه في جزء سمعته منه انتهى واما عمل الراوي بخلاف مرويه فلا يدل على النسخ أو نحوه ومن ثمة أخذوا بعمل أبي هريرة بالغسل من ولوغ الكلب ثلاثا مع روايته السبع وبقول ابن عباس ان المرتدة لا تقتل مع روايته من بدل دينه فاقتلوه واما

عموم البلوى به بان يحتاج كل واحد الى معرفته لان العادة تقضي باستفاضة نقل مثله فانفراد واحد به قدح فيه ومن ثمة لم يأخذوا بخبر نقض الوضوء بمس الذكر الذي يرويه بسرة مع عموم الحاجة الى معرفته واما كونه ورد في حد أو كفارة لسقوطهما بالشبهة واحتمال خطأ الراوي المنفرد به شبهة واما مخالفته للقياس الجلي أو الذي عضده حديث آخر واما طعن بعض السلف فيه كخبر القسامة واما وقوع الاختلاف بين الصحابة في مسئلة ورد فيها خبر الواحد ولم يحتج أحد منهم به فاعراضهم عن الاحتجاج به مع شدة عنايتهم بالاحاديث دليل على نسخه أو ضعفه مثاله خبر الطلاق بالرجال فانهم اختلفوا في ذلك فقال جماعة يعتبر في ملك الزوج لعدده حرية الرجل ورقه منهم الشافعي وآخرون بحرية المرأة ورقها منهم أبو حنيفة وآخرون يعتبر بمن رق منهما واما مخالفته أعني خبر الواحد لظاهر عموم القرآن لان أبا حنيفة لا يرى تخصيص عمومه ولا نسخه بخبر الواحد لانه ظني وذلك يقتضي وتقديم أقوى الدليلين وايجب من ذلك خبر لا صلاة الا بفاتحة الكتاب مخالف لعموم (فاقرؤا ما تيسر منه) واما مخالفته للسنة المشهورة لان الخبر المشهور أقوى من خبر الآحاد كخبر الشاهد واليمين فانه مخالف لعموم الخبر المشهور البينة على المدعي واليمين على من أنكر واما كونه زائدا على القرآن كهذا فان الذي في القرآن رجلان أو رجل وامرأتان فالشاهد واليمين زائد عليهما اذا تقرر ذلك علم منه نزاهة أبي حنيفة رحمه الله عما نسبه اليه أعداؤه والجاهلون لقواعده بل لمواقع الاجتهاد من أصلها من تركه لخبر الآحاد بغير حجة وانه لم يترك خبرا الا لدليل أقوى عنده وأوضح قال ابن حزم جميع الحنفية مجمعون على ان مذهب أبي حنيفة ان ضعيف الحديث عنده أولى من الرأي فتأمل هذا الاعتناء بالاحاديث وعظيم جلالتها وموقعها عنده ومن ثمة قدم العمل بالاحاديث المرسلة على العمل بالقياس فأوجب الوضوء من القهقهة مع انها ليست بحدث في القياس للخبر المرسل فيها ولم يقل بذلك في صلاة الجنازة وسجود التلاوة اقتصارا مع النص فانه انما ورد في الصلاة

ذات الركوع والسجود وقد قال المحققون لا يستقيم العمل بالحديث بدون استعمال الرأي فيه اذ هو المدرك لمعانيه التي هي مناط الاحكام ومن ثمة لما لم يكن لبعض المحدثين تأمل لمدرك التحريم في الرضاع قال بان المرتضعين بلبن شاة تثبت بينهما الحرمة ولا العمل بالرأي المحض ومن ثمة لم يفطر الصائم بنحو الاكل ناسيا وافطر بالاستقاء مع ان القياس في الاول الفطر لوجود ما يضاد الصوم وفي الثاني عدمه لان الصوم انما يفسده ما يدخل دون ما يخرج ﴿خاتمة﴾ قد بان لك واتضح ان الامام أبا حنيفة رحمه الله انما ترك بعض خبر الآحاد لهذه القواعد والاعذار التي أشرنا اليها ونبهناك عليها فاحذر ان تزل قدمك مع من زل أو يضل فهمك مع من ضل فانك اذا تخسر أعمالك مع جملة من خسر وتذكر بالسوء والفضيحة مع من بهما ذكر وتتعرض لامر أمر لا طاقة لك بحمل ضرره وترتبك في قعر مدلهم لا قدرة لك على النجاة من خطره فبادر الى السلامة ما استطعت اليه سبيلا وكن ممن سهل منها سبيل النجاة ودعا اليها بكرة وأصيلا وحفظ باطنه وظاهره عن ان يخوض في أحد من المسلمين بمارزئ نقيرا أو قتيلا فان الله يخذلك خذلانا مبينا ويهينك هوانا عظيما سنة الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا وقد جهد كثيرون ممن تعرضوا لسهام القطيعة وتصفوا بالصفات القبيحة الفظيعة على ان يحطوا من مرتبة هذا الامام الاعظم والحبر المقدم ويصرفوا قلوب أهل عصره ومن بعدهم عن محبته وتقليده واتباعه واعتقاد عظمته وامامته فما قدروا على ذلك ولا يفيد كلامهم فيه في مسلك من المسالك ليس ذلك الالان أمره أمر سماوي لا حيلة لاحد في رفعه من يرضه الله تعالى ويعطيه من خزائنه الواسعة لا يقدر أحد على بعضه ولا منعه جعلنا الله ممن قام بما للائمة من الحقوق ولم يتدنس بشئ من القطيعة والعقوق وعرف لكل ذي حق حقه وأداه كما يجب وشملته عين العناية كما يجب ولم يحف في جنب نصرة مصابيح الدجى ونجوم السماء الموسومة لا تمحوم التوفيق ولا تفيهق محروم هوى به تعصبه في مكان سحيق ولا غيظ

محفوف فضل به رأيه الحصيف حتى حظي من مراتب أولي الإنصاف والتشريف فنضرع إليه بسائر أسمائه الحسنى أن يجعلنا ممن قام بما يجب لأولئك الأئمة لاسيما أكابر السلف الماضين الذين شهد لهم الصادق المصدوق بأنهم خير القرون المبرئين من كل وصمة تعصب على بعضهم أهل الحسد الذين هم بحجارة جهلهم يرمون وممن أثنى الله عليهم في كتابه العزيز بالثناء الكامل الشامل بقوله عز قائلا (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) وأن تحشرنا معهم فإنا نحبهم ومن أحب قوما حشر معهم وأن تجعلنا في بحبوحتهم وبحبهم فإنا في جملة أتباعهم وأن تعيد علينا من صالح دعواتهم وأحوالهم الباهرة وكراماتهم الظاهرة المتكاثرة حتى نكون من جملة أتباعهم وجملة أشياعهم إنك الجواد الكريم الرؤوف الرحيم ولك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك القديم ولك الشكر الكامل إذ أجريت هذا المشروع تحت أنظار أربابك وجعلتنا من أهل ولايتك وصلى الله وسلم وبارك أفضل صلاة وأفضل سلام وأفضل بركة على أفضل الخلق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد معلوماتك أبدا ومداد كلماتك سرمدا كلما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون سبحان ربك رب العزة عما يصفون

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

قد كمل بعون الملك المنان طبع كتاب الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بالمطبعة الخيريه المنشأة بجمالية مصر المعزيه تعلق المتوكلين على رب الأرباب حضرة الشيخ عبد الواحد الطوبي وحضرة السيد عمر حسين الخشاب تصحيح ذي [illegible] أحمد المكي على ذمة الشاب الأمجد والنبيه الأوحد حضرة علي آغا دي الخربوتي وذلك في شهر الحجة

سنة ١٣٠٤ هجريه